دراسات عقائدية

(٨)

سر التوبة والإعتراف

كتابياً - روحياً - عقائدياً

إعداد

الأنبا ابرام

أسقف الفيوم ورئيس دير الملاك غبريال

العامر بجبل النقلون

القديس العظيم الأنبا أبرآم

أسقف الفيوم والجيزة

اســـم الكتاب: سر التوبة و الأعتراف

إعـــــــداد: الأنــبا أبــرآم

أسقف الفيوم ورئيس دير الملاك غبريال العامر بجبل النقلون

إصـــــــدار: دير القديس العظيم الأنبا أبرآم

ت / ٠٨٤٦٦٩٠٤٨١ - ٠٨٤٦٦٩٠٤٨٣ - ٠٨٤٦٦٩٠٤٧٢

الطبـــــــعة: الأولى يناير ٢٠١٦م

تصميم وتجهيز وفصل ألوان : مطبعة كينج

المطبـــــعة: مطبعة كينج

ت / ٠٢٢١٨٢٢٦٧٣ - ٠١٢٢٣٤٥٦٨٠٢

رقم الإيـــداع: ٢٠٩٤ / ٢٠١٦

حقوق الطبع محفوظة لمطرانية الفيوم

صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

نيافة الحبر الجليل

الأنبا أبرآم

أسقف الفيوم

ورئيس دير الملاك غبريال العامر بجبل النقلون

دير القديس العظيم
الأنبا أبرآم
العزب - الفيوم

مقـــدمـــة

التوبة هي سر إلهي مقدس يحصل به التائب ، بقوة الروح القدس على الصفح عن جميع خطاياه التي اقترفها بعد المعمودية واعترف بها بواسطة الكاهن، به يرجع الخاطيء إلى الله ويتصالح معه فيتجدد تبريره ويتقدس ثانية ويتصالح مع الله من جديد. لهذا يعتبر سر التوبة بمثابة معمودية ثانية، أي سر مصالحة الإنسان مع الله بعد المعمودية. وفي سر التوبة والاعتراف ننال به نعمة غير منظورة بواسطة علامة محسوسة... فالشئ المحسوس هو اعتراف الخاطئ وندمه وإقراره بكل خطاياه أمام نفسه و أمام الله والكاهن، ثم سماعه الحِل من الكاهن. أما النعمة غير المنظورة فهي تمتعه بغفران خطاياه وما يترتب علي ذلك من الشعور بسلام الله الذي يفوق كل عقل ، وابتهاج النفس بفرح لا ينطق به. « **التوبة هي استبدال شهوة بشهوة أخري، من شهوة محبة العالم إلي شهوة محبة المسيح ومحبة الفضيلة، ومحبة خلاص النفوس** ».

فالتوبة والاعتراف بالخطية ليس مجرد حزن علي الخطيئة أو ندامة. أو عملية تهدئة للضمير، أو تنفيس عن مشاكل مكبوتة، أو مجرد تذكر للخطايا وإحصاء لها، لكنه رغبة أكيدة في عشرة الله وكراهية تامة للخطيئة ومحبة الله.

بالتوبة يتنقى الإنسان ويتجه إلى الله. ولهذا فالتوبة تخص الذين خطئوا وابتعدوا عن الرب كما تخص كل الذين يعيشون مع الرب. وهي تبقى دعوة قائمة دائمة حتى الموت لكل مؤمن ، لأن الإنسان في إشتياق دائم نحو الله . فالتوبة ليست مجرد ندامة ولكنها شاملة لكل نواحي حياة الإنسان ، وتستمر بأن يوطد الإنسان نفسه على أن يخرج من ظلمة الخطيئة إلى نور الصلاح ومن ظلمة المخالفة إلى طاعة الرب وحفظه وصاياه « **من يحبني يحفظ وصاياي** » (**يو١٤:١٥**) .

فالاعتراف يبدأ بتوبة عميقة داخل الإنسان، ويتم إقراراً صادقاً بالخطايا ، ويكتمل بإصلاحاً جاداً للسيرة.

الله قادر أن يعطينا أن ننال بركات هذا السر في حياتنا بشفاعة سيدتنا وملكتنا كلنا العذراء القديسة مريم ورؤساء الملائكة الأطهار والشهيد العظيم أبي سيفين والقديس العظيم الأنبا أبرآم وكافة الملائكة والشهداء والقديسين .وبصلوات أبينا الطوباوي رئيس الأساقفة البابا تواضروس الثاني بابا وبطريرك الكرازة المرقصية.

أبرآم

أسقف الفيوم

ورئيس دير الملاك العامر بجبل النقلون

تعريف السر

معنى كلمة توبة: لها معنيان «**تاب**» أي ثاب أي عاد إلى ثوابه أو رشده.

المعنى الثاني ميطانية مأخوذة من كلمتين «**ميتا**» و «**نوس**»: «**ميتا**» أي ما وراء، و «**نوس**» أي عقل أي تغير الفكر الداخلي للإنسان. (**ما وراء العقل الظاهر**) . أو تغير الفكر الذي يتحكم في سلوك الإنسان ولذلك الخطية سببها إتجاه خاطئ وبتصحيح الاتجاه الخاطئ إلى اتجاه حقيقي يصحح الفكر وبالتالي يصحح الاتجاه.

التوبة هي جوهر الاعتراف. اعتراف بدون توبة يساوى صفر لا حل ولا شيء يفيد الإنسان في الاعتراف. بدون توبة، ومن زاوية أخرى الاعتراف هو إعلان عن التوبة وضمان لعدم العودة للخطية. السبب الذي يجعل الإنسان يرجع للخطية ويكررها ليس فقط حرب الشيطان ولا سلطان الخطية ولكن عدم وجود التوبة. هذا السر أهميته في أنه يغير الحياة، يغير النمط، الفكر، الاتجاه. لأن هناك توبة نسميها تغيير المسار والاتجاه والطريق.

إذا لم يتم هذا التغيير فالاعتراف ليس له قيمة ولا فائدة. لذلك نسميه تغيير القلب والفكر وتجديد الحياة وفي هذا يتم وعد الله « **أعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدًا في داخلكم** » (**حزقيال ٣٦: ٢٦**)، لا يمكن أن يحدث هذا بدون التوبة.

تغيير القلب، المشاعر، والفكر. عندما قال الله « **يا ابني أعطني قلبك** » لا يقصد مجرد القلب اللحمي لكن يقصد الفكر العميق في الإنسان. مصدر كل الإحساس والفكر والعاطفة والحب. وقد أطلق القديس أغسطينوس علي سر التوبة والاعتراف تعريفاً آخر وهو المصالحة بين الخاطئ التائب والله الرحيم . ويسميه العلامة ترتليان حلاً للخطايا وانعتاقاً منها. ودعاه مجمع قرطاجنة معمودية ثانية.

معمودية ثانية

نؤمن جميعنا انه في سر المعمودية الله يغفر لنا جميع خطايانا، وفي سر الميرون ننال الروح القدس الذي يعطينا قوة وثبات في الرب ،وفي سر التناول نثبت في السيد المسيح وهو يثبت فينا بواسطة جسده ودمه الأقدسين . والإنسان هنا مدعو أن يفعل انتماءه هذا في حياته ويصل به إلى كماله ، بأن يتحول كيانه كله إلى الله بخلعه المتواصل للإنسان العتيق وثباته في الإنسان الجديد، حتى يصل بنعمة الله إلى « **قامة ملء المسيح** » (**أف٤:١٣**).

ولكنه يسقط بالخطيئة من هذه الدعوة ، ولهذا فكل الذين لم يحفظوا نعمة الولادة الجديدة (**المعمودية**) بلا عيب وسقطوا من النعمة الإلهية بسبب خطاياهم ، يستطيعون أن يحصلوا ثانية على رأفة الله ومحبته برجوعهم إلى الكهنة واعترافهم لهم بخطاياهم واستحقاقهم للغفران.

ولأن المعمودية لا تتكرر ولا تعاد ، ولأن كل خطية يجب أن يقدم عنها كفارة أو موتاً، والمعمودية هي موت مع السيد المسيح، والسيد المسيح مات مرة واحدة، لذلك ومن محبة السيد المسيح لنا رسم لنا معمودية أخرى تتعاد وتتكرر كل يوم وهو سر التوبة والاعتراف، ولأجل هذا السبب أطلق الآباء لقب «**معمودية ثانية**» على سر التوبة والاعتراف والذي يتكون من شقين «**توبة**» و«**اعتراف**». ولما كان إبليس لا يفتر عن خداع الإنسان وجب أن يكون للإنسان معلم دائم - هو الكاهن أب الاعتراف - يعترف له بكل خطية لكي يصير حرًا منها.. كما يوضح القديس يوحنا ذهبي الفم في تفسير رسالة رومية قول الرسول: « **تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ ...** » (**رو١٢:٢**)، أي لا تيأس ولا تبقى مطروحًا بل انهض أيضًا وجدد نفسك بالتوبة والدموع والاعتراف بخطاياك.

مفتاح الأسرار

سر التوبة والاعتراف هو مفتاح الأسرار فلا يوجد سر يمكن أن يمارس بدون التوبة والإعتراف. ولذلك الأسرار محصورة بين سرَّى التوبة والإعتراف والتناول. أتوب واعترف يكون لي الحق في ممارسة الأسرار. وبعد ممارسة أي سر أختم الأسرار بالتناول. مثل سر مسحة المرضى يوم جمعة ختام الصوم يشترط بأن من يدهن لابد أن يكون صائمًا ومعترفًا وأيضًا عند عمل قنديل لأي مريض،

لابد أن يكون تائب ومعترف يمارس السر ثم يتناول. لازم التناول تاج الأسرار كلها ولذلك نسميه مفتاح الأسرار. إذا كنا نسمى المعمودية باب الأسرار فشرط الإنسان يتعمد وهو كبير لابد أن يكون معترف. فالاعتراف هو مفتاح الباب الذي يؤدى للأسرار. لذلك نسميه مفتاح الأسرار.

عناصر الإعتراف الصحيحة

أننا في عقيدة الكنيسة نسمى سر الاعتراف «سر التوبة». وهو فعلًا يقود إلى التوبة إذا مارسه الإنسان بطريقة روحية تليق به.

فالاعتراف ليس مجرد كلام يقوله المعترف للأب الكاهن، إنما ينبغي أن يمتزج بمشاعر معينة توصل الخاطئ إلى التوبة الحقيقية فكيف ذلك؟

ربما يعترض البعض بأن الاعتراف يجب أن يكون بين يدي الله، والكنيسة لا تعترض على ذلك بل تقر انه من الواجب أن يكون الاعتراف بين يدي الله ، وربما يكون المعترض لا يعرف ما هي الخطوات التي يجب أن يمر بها المعترف في سر التوبة والاعتراف والتي نوضحها في الخطوات الأربع الآتية :

١ - أعتراف الإنسان بينه وبين نفسه .

إن لم يقتنع الإنسان أنه قد أخطأ ، فلا يمكنه أن يلجأ إلى الاعتراف سواء لربنا أو لأب الاعتراف أو للشخص الذي أخطأ في حقه .

أول مرحلة في السر أن يقتنع الإنسان بخطئه مثل الابن الضال ، الذي بدأ يحاسب نفسه ويشعر انه اخطأ في حق نفسه وحق أبيه .

وهذه ما تسمى التوبة قبل الاعتراف ، جلسة مع النفس ، فالإنسان يجلس مع نفسه ، ويحاسب نفسه ، هل تصرفاته التي يفعلها صواب أم خطأ ،وهل تقربه إلى الله أم تبعده عنه .

ذلك أنه إن لم يكن الإنسان معترفًا في داخل قلبه وفكره أنه قد أخطأ، سوف لا يعترف طبعًا أمام الله بخطأ لا يرى أنه قد وقع فيه.

وأيضًا سوف لا يعترف أمام الكاهن بأنه قد أخطأ. ولن يذهب إلى أخيه ويصالحه، مادام غير مقتنع في داخله بأنه قد أخطأ إليه..

بواقع الخطأ وتفاصيله، وبضرورة الاعتراف به للحصول على المغفرة، وللوصول إلى المصالحة مع الله والناس.

٢- الأعتراف أمام الرب.

الإنسان الذي يشعر أنه أخطأ من السهل عليه أن يذهب إلى ربنا ويركع بدموع ويطلب المغفرة ، ويعترف أنه أخطأ أمام الرب مثل داود عندما صرخ للرب وقال له: « **لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت** » (**مز ٥٠ : ٩**)... ودانيال عندما يقول : أيها الرب العظيم أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحزنا عن وصاياك. في هذا الاعتراف نطلب من الله المغفرة، كما نقول في الصلاة « **اغفر لنا خطايانا، كما نغفر نحن أيضًا لمن أخطأ إلينا** ». ونطلب من الله أن يرفع غضبه عنّا الذي نستحقه بسبب خطايانا، كما نقول في المزمور « **يا رب لا تبكتني بغضبك، ولا تؤدبني بسخطك. ارحمني يا رب فإني ضعيف** » (**مز ٦**).

الإنسان الذي يذهب إلى الكنيسة بدون أن يحاسب نفسه ، ويشعر أنه اخطأ وبدون أن يصرخ إلى ربنا ويطلب منه مغفرة وتوبة ومعونة ، ويترك هاتان المرحلتان ، ويذهب مباشرة للمرحلة الثالثة، ربما يعترف ويأخذ غفران لكن مثل هذا الإنسان نراه يعاني من تكرار نفس الضعفات ، وذلك لأنه ترك المرحلة الأولى والثانية ...

٣- الأعتراف للأب الكاهن.

وهى أن الإنسان يذهب إلى الأب الكاهن ويعترف له بخطاياه. نعترف للأب الكاهن كوكيل للسرائر الإلهية (**١كو٤ : ١**). وكرسول من الله إليك (**ملا٢ : ٧**). ونعترف له لكي يمنحنا من الله المغفرة والحل (**يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣**) (**مت ١٨: ١٨**). وأيضاً لكي يسمح لنا

بالتناول، حتى يمكننا أن نتناول باستحقاق (**١كو١١: ٢٧**).
وأيضًا من أجل الإرشاد الروحي، ليشرح لنا ما يجب أن تفعله ونعترف إلى الأب الكاهن أيضًا لسبب عملي. وهو أن الإنسان كثيرًا ما يخجل وهو يذكر خطاياه أمام شخص روحي، وأمام الكهنوت بالذات. وهذا الخجل يساعده على عدم ارتكاب الخطية في المستقبل. وهكذا قال الكتاب « **أعترفوا بعضكم على بعض بالزلات**» (**يع ٥: ١٦**). يلجأ بعض المؤمنين إلى بديل عن الاعتراف . فمنهم مثلا من يطلب من الكاهن حلّ الخطايا (**الصلاة على الرأس**) قبل المناولة ، ومنهم من يكتفي بترديد صلاة الاعتراف « **أومن يا رب وأعترف ..** » التي يتلوها بعض الكهنة في القداس الإلهي مباشرة قبل المناولة. إن الاعتراف الحقيقي الصحيح ليس هذه ولا تلك . لأنه كيف يحل كاهن خطيئة ولم يعترف بها أمامه. وحتى إذا تعذّر وجود أب الاعتراف ، فإن ذلك لا يعني أن اللجوء إلى الوسائل المذكورة سابقا يكون بديلا عن الاعتراف. الاعتراف الصحيح في الكنيسة هو الاعتراف الفردي الصادق أمام الكاهن. وفيه يقر التائب بخطاياه جميعها ويفتح قلبه ويكشف أفكاره ليرتاح ويحصل على الإرشادات الروحية والتوجيهات التي تدله على كيفية التغلب على خطاياه ، فينال حِل الخطايا على يد الكاهن. يستثنى الذين هم في خطر الموت ، فهؤلاء هم عاجزون عن الاعتراف، لذلك يمنحهم الكاهن الحِل من خطاياهم ويناولهم جسد الرب ودمه الكريمين دونما تردد.

سر التوبة والاعتراف يربط بين ثلاث أطراف روح الله وأب الاعتراف والمعترف. لابد أن يشعر المعترف وهو أمام أب اعترافه أن الروح القدس حاضر، غياب أحد الأطراف الثلاثة يلغى السر تمامًا غياب روح الله لا يكون سر وغياب أب الاعتراف لا يفيد لذلك لابد من وجود أب الاعتراف ووجود روح الله. روح الله يتعامل مع المعترف عن طريق أب الاعتراف. وسوف ندرس كل النقاط السابقة بالتفصيل وسنأخذ أمثلة كثيرة من العهد القديم، والعهد الجديد لإثبات هذه الخطوة مع أقوال الآباء وقصص من التاريخ الكنسي لأن هذه النقطة محل خلاف مع أخوتنا في بعض الطوائف الأخرى .

٤- الأعتراف أمام الإنسان الذي أخطأ في حقه .

وذلك لكي نُزيل من قلبه أي غضب، أو حزن بسبب إساءتنا إليه، حتى يمكننا أن نتناول بقلب صاف من نحو الكل. وهذا ما علَّم به الرب في العظة على الجبل، إذ قال « **إن قدمت قربانك وتذكرت أن لأخيك شيء عليك اترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك ..** » (**مت ٥ : ٢٤**). وفي ذلك يكتب القديس لوقا في إنجيله « **إن أخطأ إليك أخوك فوبخه وان تاب فأغفر له** » (**لو ١٧ : ٣**). وهكذا لو وجدت في كل إساءة إلى الغير ستذهب إليه وتصالحه، وتعتذر إليه معترفًا بخطئك من نحوه.. فبلا شك سيقودك هذا إلى الاحتراس من معاملة الغير، والبعد عن الإساءة، حتى لا تضطر إلى الاعتذار عنها. هذه الخطوة أو المرحلة التي تأتى بعد

الاعتراف أمام الأب الكاهن، لكي يستطيع أن يرشد الإنسان هل الخطأ يستوجب الذهاب للاعتذار أم لا.

لأنه في مواقف كثيرة يكون من الأفضل أن لا يذهب الإنسان للإعتذار لمنْ أخطأ في حقه وذلك لتلافي بعض المشاكل الناتجة عن ذلك لأنه لو ذهب يمكن أن تحدث مشكلة ،وهنا يكون الأب الكاهن مرشد ومشير لأنه يساعد في تقييم الموضوع واتخاذ القرار في وجوب الذهاب والاعتذار أو الامتناع عن ذلك لعدم حدوث مشاكل .

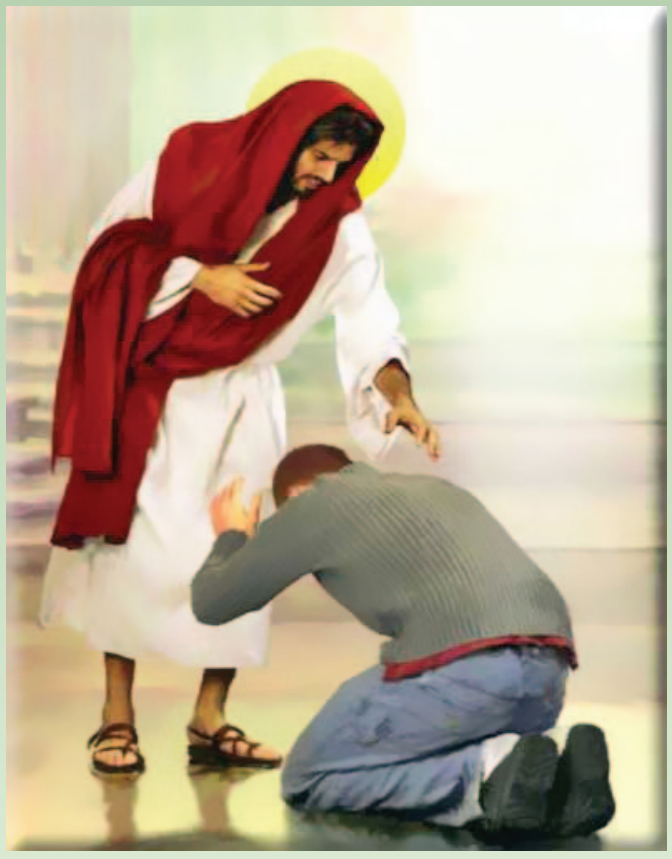

مظاهر التوبة الحقيقية

يجب على الإنسان المعترف الحقيقي أن يمارس ظواهر التوبة الحقيقية ومنها :

١ - إنسحاق القلب وندامته علي الخطايا السالفة.

إنسحاق القلب ضرورى جداً وهو شرط جوهري ولازم للتوبة الحقيقية. فالتوبة يجب أن تكون حقيقية وليست رياء ظاهري ولهذا لما طلب الله من شعبه أن يرجعوا إليه قال لهم « **إرجعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وإرجعوا إلي الرب إلهكم** » (**يوئيل ٢ :١٢**). وفي هذا نجد المكتوب « **لان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة و أما حزن العالم فينشئ موتا** » (**٢كو ٧ : ١٠**).

يشعر البعض في بعض الأحيان أن الأعتراف أصبح روتين، وعلاج ذلك أنه يجب على الإنسان المعترف أن يقتنع اقتناع كلى بينه وبين نفسه انه مخطئ، والإنسان التائب المقتنع بخطئه يشعر بمرارة في قلبه، والإنسان الذي لا يشعر بمرارة خطاياه ربما يحصل على مغفرة خطاياه ولكنه لن يستفيد روحياً من الاعتراف لأنه لم يستعد جيداً ولم تنسحق روحه. لكن الإنسان الذي يريد أن يستفيد من كل اعترافه فعلاً نجده يصرخ بدموع صارخاً مع داود «**خطيئتي أمامي في كل حين**» (**مز٥٠**).

وهنا لا نتذكر خطايانا باليأس، بل نتذكرها بالرجاء ، والإنسان يتذكرها نادم فعلا على خطاياه. كما يجب على الإنسان قبل أن يعترف وبعد أن يتذكر خطاياه ويشعر بضآلة نفسه، واحتياجه للمعونة الإلهية التي بدونها لن يستطيع أن يسير خطوة واحدة في الطريق الروحي. ويشعر كم هو ضعيف في مقاومة الخطية.

مثل هذا الإنسان نجده يذهب إلى الأب الكاهن قائلاً له : أنا لست قادراً أن أذهب خطوة واحدة لأنني بقوتي في منتهى الضعف ساقط في التراب ولست قادراً على الحركة. الإنسان المنسحق سوف يعيش جوهر السر وينال نعمه وبركاته ، بالإضافة أنه سيحصل على المعونة الإلهية « **إلى هذا انظر إلى المسكين و المنسحق الروح .. مع المنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين و لأحيي قلب المنسحقين** » (**أش ٥٧ : ١٦**).

وداود النبي يقول في مزاميره «**قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح... ذبائح الله هي روح منكسرة... القلب المنكسر و المنسحق يا الله لا تحتقره... لا يرجعن المنسحق خازياً الفقير**».

+ ونتيجة لهذا الإنسحاق نجد أن نفس الإنسان تكبر أمام الله الذي يساعده في أن يتخلى عن الضعفات ،وهذا الشعور أيضاً يجعله يعيش حياة التسليم المكتوب عنه « **سلمنا فصرنا نحمل** » (**اع ٢٧ : ١٥**).

ويصاحب انسحاق القلب دموع التوبة في عيني المؤمن وهى ليست دموع اليأس ولكنها دموع فرح التوبة ، وقبل أن يذهب إلى

أب اعترافه يصرخ إلى الله قائلاً له: أنا ذاهب إليك وشاعر بضعفاتي، ولكن فرحان انك ستعطيني قوة ومعونة ويصرخ إلى ربنا بدموع ، والله لا يمكن أن ينظر إلى هذه الدموع ويتخلى عن الإنسان لذلك نجده يقول في سفر النشيد» حولي عني عينيك فأنهما قد غلبتاني (**نش ٦ : ٥**)، وكل ما يتقدم الإنسان للتناول أو الاعتراف أو لأي سر بانسحاق ودموع كثيرة أمام الله، ينال بوفرة بركة ونعم هذا السر. كما نجد أن الإنسان التائب المنسحق ،نجده متضع بينه وبين نفسه لا يرى ضعفات أي إنسان، ويرى ضعفاته فقط، الإنسان الذي يحتقر أي إنسان في قلبه ولا يكون لديه اتضاع يكون بعيد عن التوبة وحتى لو اعترف بيعترف بلسانه فقط، لكن بقلبه هو مقتنع انه أحسن من غيره، فلم يدخل في انسحاق التوبة، ويكون قد تخطى أول مرحلة وذهب يجري إلى المرحلة الثانية وهى الاعتراف لأبونا،وبهذا نجده لا يستفيد روحيا بسر الاعتراف. لكن الذي يريد أن يستفيد لا ينظر لإنسان نظرة كبرياء، ولكن ينظر بنظرة حب وإشفاق لكل إنسان خاطئ، ويشعر إن فلان هذا خطاياه اقل من خطاياه ،ويشعر أن الله يعامله هكذا ويشفق عليه ،فكم ينبغي أن يشفق هو على الضعفاء مثله،مثل هذا الإنسان الذي يذهب إلى الاعتراف ولديه هذا الإحساس يأخذ بركة الاعتراف ويستفيد منه . وهكذا بانسحاقنا الدائم نستطيع أن نرضى الرب في توبتنا أكثر مما يرضيه القديسون في حياتهم كما شهد تاريخ الكنيسة عن القديسة مريم التائبة أنها أرضت الرب في توبتها أكثر مما أرضته في حياتها الأولى.

٢ - العزم الثابت علي إصلاح السيرة .

وهذا نتيجة ضرورية للانسحاق علي الخطيئة، ولا فائدة للتوبة ولا معني لها بدون هذا الشرط .وقد قال المخلص للمخلع الذي شفاه « **ها أنت قد برأت فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر** » (يو٥ :١٤). وقال للمرأة التي أمسكت في ذات الفعل « **ولا أنا أدينك . أذهبي ولا تخطئي أيضاً** » (**يو٨ : ١١**) . إن غفران الخطايا وحده لا يكفي لحصول التائبين على الخلاص بل يجب عليهم أن يصنعوا « **ثمارا تليق بالتوبة** » (**متى ٣:٧**). الإنسان التائب والثابت في عزمه على إصلاح السيرة يكون حريصاً وملاحظاً لنفسه جيدا ، ويحرص أن لا يضيف خطايا إلى خطاياه ، مثل إنسان عنده مشكلة أو اتهام في موضوع معين ، يكون حريصاً أن لا يأتي بشيء يدينه أكثر ، ويثبت عليه التهمة، بل يبحث عن حاجة تخفف من موقفه، فهذا هو موقف الإنسان المعترف الحريص على توبته .وكيف أكون أنا شاعر بضعفي ومنسحق وصارخاً بدموع وشاعراً إن الجميع أحسن منى وأفضل مني، وفي نفس الوقت أكرر نفس الخطايا بلا حرص وبلا محاسبة لنفسي .وكلما كان الإنسان حريصاً مع نفسه، بهذا يبرهن أمام الله الفاحص القلوب والكُلى صدق توبته وعزمه الأكيد على تصليح حالته ،ولذلك يعطيه من روحه القدوس الذي يساعده في توبته وحرصه على خلاص نفسه.كذلك علينا أن نصنع أثمارًا تليق بالتوبة ونضاعف هذه الأثمار كما فعل زكا العشار. علي المعترف أن يتمم كل القوانين والتأديبات الكنسية التي يتلقاها من أب

اعترافه بكل دقة واهتمام وبدون كسل أو إهمال لأنها كدواء لازم لحياته الروحية. كذلك على الإنسان المقبل على الاعتراف أن يكون أميناً صريحاً مع نفسه لا يحابيها ولا يدللها لئلا ينطبق عليه قول الرب « **من يحب نفسه يهلكها** » (**يو١٢: ٢٥**).

٣- إيمان وطيد بالمسيح يسوع ورجاء في تحننه .

يجب علي الذي ينوي علي التوبة والاعتراف أن يكون لديه إيمان كامل بالسيد المسيح بأن ليس بأحد غيره الخلاص (**أع٤ :١٢**). وله يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا (**أع١٠ :٤٣**). يثق الإنسان التائب بأن الله « **لا يشاء أن يهلك أحد بل أن يقبل الجميع إلى التوبة** » (**٢بط٣:٩**) ، « **وأنه يصير فرح عظيم في السماء بخاطىء واحد يتوب**» (**لو١٥:٧**) .

فالابن الشاطر ، الذي هو نموذج للساقطين بعد المعمودية ، بعد أن ذهب إلى أرض غريبة وأدرك بالفعل جسامة شر سقوطه من بيت أبيه عاد إليه. أما أبوه فلم يحقد عليه بل قبله بأيد مفتوحة... لأنه كان أباً لا حاكماً. ولهذا أقام احتفالاً عظيماً. ولم تكن هذه المكافأة جزاء للشر والخطيئة، بل مكافأة للعودة والتحول (**الذهبي الفم، مقالة أولى في التوبة**).

٤- الاعتراف الشفوي بالخطايا أمام أب الاعتراف.

السيد المسيح قال صراحة « **أقبلوا الروح القدس «من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت** » فكيف يُمكن للكهنة أن يغفروا الخطايا أو يمسكوها دون أن يعلموها ويفحصوها .

عوامل تساعدنا في سر التوبة والاعتراف

يتساءل البعض أنه بعد أن يمارس سر التوبة والاعتراف لمرتين أو ثلاثة يشعر أن ليس لديه ما يقوله لأب اعترافه، وأصبح الاعتراف روتين .

لذلك توجد عوامل تساعدنا على أن نتعمق في ممارسة السر ويصبح الاعتراف دقيق، ويشعر الإنسان نتيجة لذلك ببركة الاعتراف، ويحس انه هو أخذ بركة ،مع الشعور بالارتياح والفرح بعد ممارسة سر الاعتراف.

وهذه العوامل يمكن أن نوجزها في الآتي :

١ - التدقيق (الاعتراف بكل الخطايا) .

البعض من الناس يشعر أنه توجد فقط بعض الخطايا الكبيرة التي لو سقطنا فيها نشعر بالتعب والشعور بالحاجة إلى التوبة والاعتراف، وفي نظر هذا الإنسان أن باقي الخطايا يشعر أنها صغيره وعادية ولا تقتضي الشعور بالذنب والحاجة للاعتراف بسبب شيوعها وممارسة أغلب الناس لها. فالكتاب المقدس يعلمنا أنه لا يوجد شيء يُسمى خطية كبيرة وخطية صغيرة « **لان من حفظ كل الناموس و إنما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل** » (**يع٢ : ١٠**)، الخطية الكبيرة مثل الصغيرة، وعلى العكس إننا نري أن الكتاب المقدس في كثير من الشواهد يريد أن يؤكد لنا أن الخطايا التي نراها صغيرة يمكنها أن تمنع الإنسان من دخول الملكوت، فإذاً الاعتراف يشمل بعمق كل ضعفات الإنسان، ويجب أن لا نترك أي حاجة صغيرة، ونتكلم في الصغيرة قبل الكبيرة. الخطايا الصغيرة يحذرنا منها الكتاب ويقول عنها في سفر النشيد « **خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفسدة الكروم** » (**نش ٢ : ١٥**). وكلما يكون الإنسان أمين ومدقق ويعترف بكل كبيرة وصغيرة مع التدريب ، سوف يشعر بعد ذلك أنه بمجرد أنه لو فعل أي خطية صغيرة ولو بالفكر سوف يشعر بعدم الارتياح والاحتياج للتوبة والاعتراف حتى يصل للقداسة المطلوبة.

التي بدونها لن يرى احد الرب «**نظير القدوس الذي دعاكم كونوا انتم أيضاً قديسين في كل سيرة**» (**١بط ١ : ١٥**)، مثل هذا الإنسان المدقق في اعترافه عندما يعترف يأخذ بركة السر المقدس ويشعر بارتياح ونمو في حياته الروحية. الإنسان التائب المقبل على الاعتراف يجب عليه أن يفحص ضميره فحصاً دقيقاً ويمتحن نفسه ويحصر الخطايا التي ارتكبها سواء بالفعل أو القول أو الفكر أو الحواس ويُظهر الندامة عليها والإنسحاق بسبب سقوطه فيها. ولكننا ننصح أن يكون المعترف عادلاً في محاسبة نفسه لا يعطف عليها أكثر من اللازم فيسلك الطريق الواسع، ولا يقسو عليها أكثر من اللازم فيصل إلي الوسوسة والضمير الضيق بل يسلك باعتدال وضمير مستقيم سوي ناضج.

٢ - الأعتراف بالتفصيل .

لكي يستفيد المعترف بسر التوبة والاعتراف أكبر استفادة عليه أن يعترف بكل ما يتعبه وما اخطأ فيه بالتفصيل ولا يعذر نفسه بأن الأب الكاهن ليس لديه الوقت الكافي ،وفي سرد التفاصيل فوائد كثيرة مثل أنه يزداد خجل المعترف فلا يرجع لخطيئته، وستوضح للطبيب المعالج أي الأب الكاهن تفاصيل المرض لكي يعطيك العلاج والدواء المناسب، كما أنه في سرد التفاصيل راحة للمعترف. ونقول مثلاً لذلك، إنسان وقع في خطيئة الكذب، لا يكفي أن يقول

لأب أعترافه « **قد كذبت** » بل عليه أن يقول لمن كذب، ولماذا كذب.. وهكذا في باقي الخطايا... ويمكن أن يكون هناك خطايا أخري سقط فيها بسبب خطيئة الكذب وهو لا يدرك ذلك، كما يساعد ذلك أب الأعتراف على إكتشاف شخصية المعترف وكيفية التعامل معه لحل كل مشاكله . الإنسان الأمين في اعترافاته عليه أن يظهر كل ضعفاته أمام الأب الكاهن، ويدخل تحت سرد تفاصيل الخطية أن يُظهر المعترف مشاعره أثناء فعل الخطيئة، أي أن يسرد، لا التفاصيل الظاهرية فقط بل والداخلية أيضاً ،وذلك يساعده أن يدين نفسه بالأكثر، وذلك يساعد أب الاعتراف أيضاً أن يكتشف هل الخطية يفعلها المعترف عن حب لها أم عن ضعف وهو لا يحب الخطيئة، وربما يكتشف أن المعترف لا يحب الخطيئة ولكنه لا يكرهها أيضاً ولذلك عندما تأتي الخطيئة لا يستطيع أن يمنع نفسه منها. وهذا يساعد أب الاعتراف على كيفية العلاج، لأن كل مرحلة من مراحل التوبة أو الإقلاع عن الخطيئة لها علاجها المناسب. ولا يكتفي المعترف بذلك بل يعترف أيضاً إلي أي درجة تسيطر عليه الخطيئة، وكم المدة وهي مسيطرة عليه، وما هي الظروف التي تؤدي للرجوع إليها ، كلما كان هذا الاعتراف بتفاصيل الخطيئة كلما كان العلاج والتخلص منها سريعاً.

٣ - عدم إعطاء الأعذار للنفس.

على الإنسان المعترف الجاد في توبته أن لا يبحث عن أعذار لنفسه أمام أب اعترافه، فلا يُلقي أسباب فعله للخطيئة على أناس آخرين وكأنه بدلاً عن أن يعترف عن خطاياه نجده يعترف عن خطايا الآخرين، فمثلاً نجد مثل هذا الإنسان يقول لأب اعترافه... أنا عملت ذلك لأن فلان وفلان كانوا السبب.. هذا الإنسان لم يعترف طبعاً بخصوص هذه الخطيئة، لأنه يعترف على خطايا غيره، ويأتي بعذر لكل خطية، ويظل غير مقتنع بالخطأ، ولا نعرف على أي أساس يعترف ؟! الإنسان الذي يريد أن يشعر بالاعتراف لا يأتي بأي عذر لنفسه ولا يأتي بأخطائه على الغير، حتى لو غيره شجعه على الخطية، لكن ليقل بينه وبين نفسه وبينه وبين أب اعترافه.. أنا السبب لأنني قبلت كل هذه الضعفات واستجبت لها... والحكيم ينصح كل معترف قائلاً « **لا تقل قدام الملاك أنه سهو** » (**جا٥ : ٦**).

٤ - الأعتراف بخطايا الفكر أيضاً.

خطايا الفكر يعتبرها الآباء البداية في كل خطية، وبذلك عندما يفكر إنسان في خطية و يعترف بها تكون سهلة العلاج مثل النبتة الصغيرة التي لا تحتاج لمجهود.

بالإضافة أنه بجانب الاعتراف بهذا الفكر والراحة منه ،ولكن في نفس الوقت يأخذ معونة من الله وإرشاد من الأب الكاهن،

والاعتراف يساعد على توقف الفكر عند هذا الحد فلا يتعداه.
وكما يعلمنا الآباء أن أقوي شئ لعلاج فكر الخطية هو فضحه والاعتراف به. ولكن إن تُرك الفكر سوف يقوي على الإنسان وسوف يتحول إلى فعل لأن ذلك الإنسان سوف يصبح وحيداً وضعيفاً في محاربته. نحن نحتاج إلى الجراءة في اعترافنا سواء بخطايانا الحالية أو بالخطايا الماضية ومدى تملكها على قلب الإنسان، ومدى استجابة الإنسان لها.

٥- عرض الإنسان لكل جهاده على أب اعترافه .

الاعتراف ليس مجرد سرد الخطايا والضعفات فقط، ولكن هو بالأكثر عرض لكل جهاد الإنسان على أب اعترافه ، سواء كان صوم أو صلاة. لذلك تعلمنا الكنيسة إن الإنسان لا يصوم من نفسه، لا يحدد مع نفسه قانون معين من ناحية الصوم، بل يجب ان يكون ذلك بالاتفاق مع أب الاعتراف، حتى إن أراد أن يزيد من ساعات صومه يكون ذلك بسماح وحل من الأب الكاهن وذلك حسب مقدرة الإنسان الروحية . كذلك أيضاً في الصلاة، فلا يصلي حسب ما يتراءى له أو كما يريد، بل يجب أن يتفق مع أب اعترافه كيف يصلي.. ومتى... وما هي المزامير التي يصليها.. وذلك لكي عندما يصلي ويأتي له فكر الكبرياء بسبب صومه وصلاته نجده يقول.. أنا لا اعمل شيء.. فنحن مجرد عبيد بطالين نعمل ما طُلب منا... وبالتالي الله يحميه من حروب الكبرياء .

كذلك أيضاً الصدقة، صحيح الكتاب المقدس علمنا قائلاً.. ما تفعله يمينك لا تعرفه شمالك.. فهذا يعني أن الواحد لا يعلن أمام الكل ولكن مع أب اعترافه من الأفضل أن يكون على دراية بذلك أيضاً. كذلك في قراءة الكتاب المقدس والقراءة الروحية من الأفضل أن يتناقش الإنسان مع أب اعترافه في الكم والكيف الذي يقرأ بهما وكذلك في نوعية الكتب المحتاج لقراءتها ، وبذلك يستطيع أن يسمع صوت الله سواء كان في جهاده ضد الخطية أو في جهاد النمو في الفضائل. هكذا يكون سلوك الإنسان المعترف في التناول وكل الفضائل ووسائط النعمة، فلا يفعل شيئاً بعيداً عن أب اعترافه. لذلك عندما تمضي مرحلة الضعفات لا نجد أنفسنا أنه ليس لدينا ما نقوله في الاعتراف فإن لم توجد ضعفات يوجد نمو، جميعنا يحتاج الإرشاد للنمو، كل آباء الكنيسة ابتداء من الأب البطريرك والآباء الأساقفة وكل الآباء من الطبيعي والواجب أن يكون لكل شخص منهم أب اعتراف. ربما لا يوجد ضعفات ولكن يوجد احتياج للإرشاد،وبذلك يشعر الإنسان ان أب اعترافه أصبح صديق له ويشعر بحلاوة الجلوس معه ونشعر بالمحبة المتبادلة بين المعترف وأب اعترافه التي تكون ظاهرة وملموسة ليس على المستوي الظاهري أو الشكلي بل على المستوي القلبي. وبهذا يستطيع أن يشعر الإنسان بقيمة الاعتراف وحلاوته.

٦- الصلاة قبل وبعد الاعتراف.

كما تكلمنا سابقاً أنه من الخطوات السليمة لسر الاعتراف هي الجلسة مع النفس ثم الجلوس مع الله ،نذهب ونقول أنه من الواجب قبل سر الاعتراف أيضاً أن يصرخ الإنسان إلى الله بالصلاة قائلاً له.. أنت عارف بضعفي أنا ذاهب لكي اعترف لك واعترف لابنك الذي أنت ائتمنته على أسرارك المقدسة، وسأطلب منه أن يُسمعني صوتك، وسوف أعترف بكل ضعفاتي، وبكل ما صنعته وأيضاً سأكشف له كل جهادي، محتاج يا رب أن تعطيني إرشاد ومعونة، عندما يسكب الإنسان نفسه أمام الله في الصلاة يجد أن الأب الكاهن يتكلم وبدون أن يسأل الإنسان نجده يجاوب على كل الأسئلة التي في قلب المعترف. عكس ذلك عندما يشعر الأب الكاهن بعدم استعداد المعترف للاعتراف نجد الأب الكاهن غير قادر على الكلام، وذلك لأن الإنسان لم يطلب ويصلي أولاً إلى الله. ويوجد اختبارات كثيرة، ووجدنا آباء اعتراف يتكلموا ويجاوبوا المعترف قبل ما يتكلم ، وكأن الله أعطاه الإجابة قبل ما أبونا يسمع الأسئلة. علي المعترف أن يشكر الله بعد الاعتراف الذي أنقذه وخلصه من خطاياه عالماً بالعواقب التي كانت ستحل به عازما بكل القلب علي عدم الرجوع إلي الخطية مرة أخري. وبعد أن نشكر الله نطلب منه أن ينفذ كل حرف، وكل وصية أعطاها له على لسان أب اعترافه وعندما يعتبر الإنسان أن كل الإرشادات هى من الله، يستطيع فعلاً أن يشعر بفعل الروح القدس في سر الاعتراف.

٧- الإستعداد للإعتراف.

يهيئ المؤمن نفسه للاعتراف بالصلاة والصوم والمطالعة الروحية وكذلك بتفحص ذاته بجد ودقة. والمهم أن يتقدم المؤمن إلى الاعتراف بروح التوبة والرجاء والتصميم على إصلاح سيرته بنعمة الله.

تحتل معرفة الذات مكانة بارزة في نمو الإنسان الروحي ومسيرته نحو قامة ملء المسيح. لهذا يحث المؤمنون على استخدام الوسائل الروحية كافة التي تساعدهم على معرفة ذواتهم.

٨- الصدق وعدم إخفاء أى خطية.

على الإنسان المقبل على الاعتراف أن يكون صادقاً في اعترافه عالماً أن الكذب علي أب الاعتراف هو كذب علي الروح القدس نفسه كما قال بطرس لحنانيا «**لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب علي الروح القدس**» (**أع٥: ٣**).

وأن لا يُخفي شيئاً من أسراره وأفكاره بل يكشف قلبه بكل وضوح وصراحة أمام الأب الكاهن حتي يتمكن الكاهن من تقديم العلاج المناسب لبنيان حياة المعترف الروحية. ويجب أن نقول أن سر التوبة والاعتراف مثل باقي أسرار الكنيسة، لا يمارسه غير المسيحيون الذين تطهروا بالمعمودية والميرون و الأفخارستيا.

شروط أب الاعتراف:

قال الأنبا أشعياء: «**لا تكشف أسرارك لكل احد لئلا تسبب عثرة لقريبك، اكشف أفكارك لآبائك الشيوخ لتجد معونة بمشورتهم**».

وقال أيضًا.. « **لا تنظر إلى كبير السن بل اعتمد على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية لئلا يزيدك سقما بدلًا من أن يهبك شفاء** » بناء على نصيحة أنبا إشعياء يمكننا إيجاز ما يجب أن يتصف به أب الاعتراف في الآتي :

١- أن يكون كاهناً شرعياً مشرطناً .

٢- أن يكون حكيماً مختبراً صادقاً في طب النفوس عارفاً بأسرارها سابراً أغوارها.

٣- أن يكون روحانياً له صلة ودالة قوية مع الله حتى يتشفع من أجل أولاده طالبا لهم المعونة من الله.

٤- أن يكون قوي الشخصية لا يحابي الوجوه ولا يستحي أن يقول الحق ويوبخ المخطئ مهما كان كبيراً أوغنياً.

٥- أن يكون تقياً له القدرة علي سماع المشاكل والعثرات دون أن يهتز أو يتأثر أو يعثر أو يسقط، كذلك يجب أن يكون حليماً يتأني علي المعترف ويشعره أنه ابن له حتي يطمئن المعترف ويخرج كل آلامه وأوجاعه ويعترف بخطاياه.

٦- أن يكون قوياً بالروح يتحمل ضعف الضعفاء. ويقبل اعترافهم ويسمع خطاياهم المشينة بصبر ودون تأفف أو استياء أو احتقار

لأي خاطئ تائب مهما كانت خطاياه وأن يحسن الانتباه ويعطي المعترف الفرصة الكافية ليقول كل ما عنده وأن يعطيه هو النصائح والارشادات اللازمة بخصوص كل خطية أو يعطيه رأيه في حل أي مشكلة يعرضها عليه .

٧- أن يكون حكيماً مختبراً في الحياة الروحية لكي يرشد أولاده عن خبرة وعلم حتى لا يعطيهم إرشادات خاطئة تضر حياتهم الروحية .

٨- أن يكون دارساً للكتاب المقدس وملماً أيضاً ببعض العلوم (**علم التربية وعلم النفس**) حتى يستطيع أن يكون فاهماً لمراحل النمو المختلفة والتفاعلات النفسية الخاصة بكل مرحلة وبالتالي يصف الدواء المناسب لكل داء.

٩- أن يكون سنه مناسباً لقبول الاعترافات متحلياً بالهيبة والوقار .

١٠- أن يكون عفيفاً في نظراته وفكره وقلبه وجسده حتى يستطيع قبول اعترافات النساء .

١١- أن يكون أميناً علي أسرار الناس لا يفشيها ولا يكشفها لأي أحد مهما كانت الأسباب . عالماً أن قوانين الكنيسة تمنع ذلك وتعاقب الكاهن الذي يفشي أسرار واعترافات الناس ويسبب لهم الحرج والمشاكل(**قوانين باسيليوس ٣٤**).

١٢- أن يكون دارساً لقوانين الكنيسة حتى يطبقها بحكمة علي أولاده المترفهون دون تهاون أو تشدد .

١٣- أن يتشبه ببولس الرسول في محبته لأولاده حينما يقول « **يا أولادي الذين أتمخض بكم إلي أن يتصور المسيح فيكم** » (**غل٤: ١٩**).

أي أن يتعب من أجل أبنائه في الاعتراف حتى يصيروا علي شبه المسيح في السلوك والفضيلة.

١٤- أن لا يمنع أحداً من أولاده بأخذ الحل والسماح لكي يتخذ أب اعتراف آخر بل يسمح له باختيار الكاهن الذي يستريح له بل يمنحه البركة ويظهر له الرضا. وعلي الكاهن الآخر أن يتأكد من أن المُعترف قد أخذ تصريحاً من أب اعترافه السابق.

١٥- الأساقفة والكهنة وحدهم يمنحون حل الخطايا للمؤمنين التائبين.

١٦- أن يكون لديه تصريح من أسقفه بقبول أعترافات الشعب ، ويعطيه الأسقف هذا التصريح حينما يجد فيه الكفاءة المطلوبة لهذه المهمة يمنح الأسقف المحلي صلاحية تقبل الاعتراف وحل الخطايا لكهنة أبرشيته في الكنيسة، وفي كنيسة أنطاكية الواحدة معنا في الإيمان يمنح الأسقف صلاحية تقبل الاعتراف خلال إحدى الخدم الليتورجية بحضور جماعة المؤمنين وبقراءة الصلاة الخاصة بذلك.

١٧- يستطيع الأسقف، لسبب خطير، أن يوقف أحد الكهنة عن ممارسة الأسرار الإلهية بما فيها سر الاعتراف.

١٨- إذا تمَّ توقيف الكاهن عن ممارسة سر الاعتراف وحل الخطايا من الأسقف المحلي المذكور سابقا امتنع الكاهن عن ممارسة السر بالكلية. أما إذا كان توقيفه من قبل سلطة أخرى ذات صلاحية في غير أبروشيته، فيكون امتناعه عنه في ولاية هذه الأبروشية فقط دون سواها.

١٩- على المؤتمنين على رعاية النفوس وتقبل اعترافات المؤمنين توفير فرص الإقبال على الاعتراف الفردي لهم وتخصيص الأوقات اللازمة لذلك.

أهداف السر

هناك أهداف كثيرة من سر التوبة والاعتراف للمؤمن يمكن تلخيصها فيما يلي : -

١ - الأعتراف راحة .

في سر الأعتراف يشكو المؤمن نفسه للأب الكاهن . وفي الشكوى خلاص من المتاعب وتنفيس عن الألم . حتى ولو لم يوفق الشاكي أحياناً إلي دواء . ولكن مجرد الإقرار بها هو راحة للمؤمن . فأب الاعتراف في هذه الحالة كالطبيب النفساني الذي يفرغ عنده المريض كل همومه وأحزانه فيخرج من عنده بدونها. ويقول في ذلك العلامة أوريجانوس (**القرن الثالث**) :

«فالخاطئ الذي لا يخجل من كشف زلاته لكاهن الرب كالذين يستفرغون من المعدة الأطعمة الثقيلة المتخمة العسيرة الهضم، إنهم حالاً يشعرون بالراحة والفرح. فالخاطئ الذي يخبئ خطاياه في داخله يختنق بها . ولكن إن شكا نفسه بها وأظهر حالته واعترف بها فإنه حالاً يستفرغ مع الخطيئة علة مرضه الداخلي (**ميمر ٢ علي سفر اللاويين**) ويقول نفس الكلام العلامة ترتليان (**القرن الثالث**) :

كما أن من بقي فيهم الطعام غير مهضوم ،أو تثقلت معدتهم بخلط أو بلغم ،إذا تقيأوا استراحوا. كذلك من أخطئوا .فإن أخفوا الإثم فيهم تضايقوا داخلاً، وخنقهم بلغم الخطيئة وخلطها .ولكن إن شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الإثم وتزول علة المرض كلها.

٢- الاعتراف طب وعلاج.

في سر الاعتراف يشكو المريض علته إلي الطبيب .فيشخص الطبيب المرض ويصف العلاج .فأب الاعتراف طبيب روحاني يسمع شكوى الخاطئ التائب ويقف علي علة نفسه حتى يمكنه أن يصف العلاج .فلا يمكن لأي طبيب أن يصف علاجاً لمريض دون أن يسمع منه علة مرضه. ونجد القديس الأنبا موسي الأسود يقول :

«الفكر الخاطئ يضعف بمجرد كشفه... فبقوة الاعتراف ينسحب أفعوان الدنس من كهفه المظلم الخفي. وأحياناً يظهر ويهرب مفتضحاً... فالأفكار الشيطانية يكون لها سلطان علينا بمقدار ما تختبئ في قلوبنا»

٣- في الاعتراف مرارة.

أن ما يعانيه الخاطئ التائب من شعور بالخزي والخجل وهو يسرد خطيئته أمام أب اعترافه لهو كفيل بأن يردعه عن الخطأ نفسه والعودة إلي ارتكابه من جديد. هذا الشعور بالخزي والخجل لا يتوافر للخاطئ أمام الله كما يتوافر له أمام الكاهن. كما إننا لا نستطيع أن نري قبح وبشاعة خطايانا إلا إذا رأينا تأثيرها علي عقول وقلوب الذين نعترف لهم. ويقول في ذلك العلامة ترتليان

«إن كثيرين ينبهون إلي الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل (الاعتراف) سترة لهم أو يؤخرونه من يوم إلي آخر ،كمن أصابه مرض في الأعضاء المستحي منها فأخفي علي الأطباء مرضه فيباد بخجله... فإذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل تُخفي

علي الله ؟وهل الأولي لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية، من أن نُحل وهي مكشوفة بالتوبة». عنصر الخجل بين المعترف وأب الاعتراف له فائدتان:

أولًا: يشعر الإنسان بعار الخطية وأنها ظلمة.

ثانيًا: تسبب نوع من الكراهية للخطية وهذا هو السبب الذي يجعل الكنيسة لا تسمح بتغيير أب الاعتراف؟ لان الإنسان إذا غير أب اعترافه سهل أن يذهب إلى أب ثاني ويقول له الخطية كأنها أول مرة فهذه تساعده على تكرار الخطية. عنصر الخجل مهم جدًا.

٤- الاعتراف والطب النفسي.

يشهد علماء النفس بأهمية الاعتراف وآثاره البعيدة في شفاء النفس البشرية من أمراضها وعللها وحل عقدها المستعصية. وقد استخرجوا من سر الاعتراف ما يعرف بالتحليل النفسي، وليس التحليل النفسي إلا جزءاً من عمل الكاهن في سر الاعتراف وهو يحاول أن يكشف مرض تلميذه بما يوجهه إليه من أسئلة حينما يكون تلميذه عاجزاً عن فهم نفسه وحل مشكلاتها.

٥- في الاعتراف نوال الإرشاد.

المعترف أمام الكاهن ابن أمام أبيه، أو مريض أمام طبيب، أو تلميذ أمام معلمه لذلك عمل الكاهن في سر التوبة والاعتراف هو الشفاء من مرض الخطية والتعليم بمعنى الإرشاد، أي معرفة الطريق الصحيح إلى الله. من فوائد الإرشاد إعطاء الخطية حجمها الطبيعي

بعيدًا عن التهوين أو التهويل للخطية. لذلك هناك أناس تقع في اليأس نتيجة التهويل وهناك من يقع في التهاون نتيجة التهوين. فالإقرار بالخطية يمنع هذا. بالإضافة إلى فوائد الإرشاد في تنفيذ العلاجات المطلوبة للمرض أو للخطية. وفي هذا يقول القديس الأنبا أنطونيوس « **رأيت رهباناً كثيرين بعد أن تعبوا كثيراً وقعوا في دهشة عقل ،لأنهم اتكلوا علي معرفتهم فقط . وإذ لم يصغوا إلي الوصية القائلة :اسأل أباك فيخبرك ومشايخك فيقولون لك** ».

كما يقول القديس يوحنا كاسيان «**من يكشف أفكاره لمرشده لا يمكن خداعه... إن الخطيئة تثبت طالما هي مخفية في القلب. فمتى كُشفت زالت حتى قبل أن يجيب الأب الروحي عنها بشئ**».

كذلك يتجه الإنسان إلى إصلاح ذاته بواسطة ما يُقننه عليه الأب الكاهن وبالإرشادات التي يتلقاها منه. وذكر البستان القصة التالية التي تدل على أهمية الارشاد بالنسبة لسر الاعتراف. وقع أخ في بلية ومع الحزن أتلف عمل رهبانيته، وإذ أراد أن يبدأ بالعمل كان يستثقل ذلك ويقول متى أبلغ إلى ما كنت فيه»؟ وكان يضجر وتصغر نفسه فلا يقدر أن يبدأ بعمل الرهبنة مرة أخرى وأخيرًا ذهب إلى أحد الشيوخ، قص عليه أمره، فلما رأى الشيخ حزنه ضرب مثلا قائلا له كان إنسان له بقيع ومن توانيه امتلأ ذلك البقيع شوكًا، وأنه بعد ذلك أنتبه له وأراد أن ينقي ذلك البقيع من الشوك، فقال لأبنه يا بنيّ اذهب إلى البقيع ونقه واقلع شوكه، فلما ذهب ابنه وأبصر كثرة الشوك سئم ومل ونام، وبعد أيام كثيرة أتاه أبوه

لينظر ما عمل الغلام، فلما رآه لم يعمل شيئًا قال: «**حتى الآن لم تُنَقِّ شيئًا؟**» فقال أبوه: لا يكون الأمر هكذا يا ابني، ولكن نق كل يوم قدر مفرشك فقط قليلًا قليلًا، ففعل الغلام كأمر أبوه، ودَاوَم على ذلك حتى فرغ الشوك من ذلك البقيع. وأنت كذلك يا حبيبي أبدأ بالعمل شيئًا فشيئًا ولا تضجر، والله بطيبه ونعمته يردك إلى سيرتك الأولى، فذهب ذلك الأخ وعمل وصبر كما علمه الشيخ فوجد نياحًا وأفلح.

ومن هنا نرى أهمية الإرشاد في سر الاعتراف وهكذا نقرأ في الكتاب المقدس «**حيث لا تدبير يسقط الشعب أما الخلاص فبكثرة المشيرين**» (**ام ١١ : ١٤**).

«**مقاصد بغير مشورة تبطل و بكثرة المشيرين تقوم**» (**ام ١٥ : ٢٢**).

«**لأنك بالتدابير تعمل حربك و الخلاص بكثرة المشيرين**» (**ام٢٤ : ٦**).

٦- الاعتراف تلمذة واتضاع.

المسيحية ليست كتاباً يُقرأ أو مبادئ تُحفظ ،أو مجرد طقوس تؤدي أو فرائض تُنفذ... إنما هي حياة تلمذة معاشة من حياة السيد المسيح ومن خلفائه الرسل الذين عاشروه وتتلمذوا علي يديه ونحن نتتلمذ على خلفاء الآباء الرسل وهم الكهنة الذين يقيمهم الروح القدس آباء ومرشدين. قد جاء عن القديس يوحنا كاسيان أنه قال «**أنه بغير إفراز لا يمكن لأحد الخلاص**»، فسأله سائل عن الإفراز الحقيقي فقال «**هو أن نكشف للآباء أفكارنا وأعمالنا، ولا نثق البتة بأعمالنا ولا برأينا، لكن في كل شيء من أعمالنا وتدبيراتنا نستشير**

الشيوخ ونعمل برأيهم ما يشيرون به علينا أن كان ما يتراءى لنا جيدًا أو رديئًا، حينئذ نسلم من جميع مكائد العدو وحيله». وكان القديس أرسانيوس مثالًا للاتضاع، لذلك كان دائماً يَكشِف أفكاره. وقد ذُكِرَ عنه أنه كان يسأل أحد الشيوخ المصريين عن أفكاره، فرآه شيخ آخر وقال له: «**يا أبى أرسانيوس: كيف وأنت المتأدب بالرومية واليونانية تحتاج إلى أن تسأل هذا المصري الأمي عن أفكارك؟!**» أجابه أنبا أرسانيوس قائلًا: «**أما الأدب الرومي واليوناني فأني عارفٌ بهما جيدًا، أما (A.B) التي قد أحسنها هذا المصري فإني إلى الآن لم أتعلمها**». وكان يقصد طريق الفضيلة. كما ذكر عنه انه كان يكشف أفكاره لمرشده الروحي وكان يكتبها في حال جلوسه في القلاية ليكشفها قبل التناول. لا ينبغي لأحد أن يصنع شيئًا برأي نفسه دون مشورة معلم لأن كثيرين أرادوا أن يعملوا أعمالًا مرضية لله ولم يتواضعوا ولم يستشيروا فضلوا عن الطريق الصحيح. إن من يستشير في عمل البر ولا يعمله إلا بمشورة هو المتضع، ومن يفعل ذلك بغير مشورة فهو ضال ومتكبر، وبهذا نعلم ونتحقق أن الأعتراف هو الاتضاع الحقيقي، وبغير اتضاع حقيقي لا يمكن خلاص ،ومن يسير في عبادة الله برأي نفسه وحده دون مشورة معلم فلا تثبت له عادته كما ابتدأ بها. ويقول أحد الآباء: «**الذي يصنع أعمالا بغير مشورة فإن الشياطين يرفعونه بالأكثر، وهكذا يسقطونه إلى أسفل سريعًا فالذي يقوم بما يفوق قدرته يقتل جسده وحينئذ ينكسر كالقوس زاده توتره أكثر من اللازم**». إن كثيرين يندفعون في طريق إذلال الجسد دون إفراز ودون سماع

نصائح المرشد منساقين في هذا التيار فيسقطون في تعييرات وفخ إبليس. ويذكر البستان قصصا كثيرة محزنة عن رهبان تركوا آباءهم في الرب قائلين: (**إننا نتوحد ونصوم ونهرب من الناس، فانخدعوا بذلك من الشيطان ولم يصنعوا لا وحدة ولا صومًا ولا هروبًا من الناس بل تنقلوا بين الأديرة والمدن والقرى وفرح بهم الشيطان وهزأ بهم لأنهم قبلوا خداعة وعملوا مشيئتهم الخاصة**). ويشهد كتاب الفردوس أن واحدًا - سأل أنبا تادرس ما هو القول الذي قيل في أمثال سليمان الحكيم أن الذين لهم مدبرون يسقطون مثل الورق والخلاص هو بالمشورة الكثيرة؟ فأجاب الشيح القديس وقال: إن الورق في ابتدائه حسن وأخضر وبعد ذلك ييبس ويقع، كذلك الذي له مدبر يستشيره فإنه في بدء سيرته يكون له حرارة في الصوم والصلاة والسهر والسكون ثم بعد ذلك يبتدئ قليلا تبرد تلك الحرارة فيقع مثل الورق، وما أشبهه في ذلك بشجرة مورقة وبأثمارها مخصبة هزتها ريح شديدة فسقطت بغته وتَعَرَّت من أوراقها وأثمارها وبقيت يابسة، وهذا ما يلحق بمن يتدبر برأي نفسه ولا يسمع مشورة الحكماء..

وقوله: «**إن الخلاص بمشورة كثيرة**» يعنى أن يكون لكل إنسان الأب الروحي وهو الكاهن الذي يثق به ويستشيره في جميع أموره ولا يكتم شيئًا من خطاياه وأوجاعه لان الإنسان إذا لم يظهر أموره كلها ويكشفها ربما وجد فيه الشيطان خطية واحدة مكتومة فيه فيطرحه بها.. وقد لا يظن ذلك الإنسان أن هذا الفعل خطية -لكن إذا كشف الإنسان أسراره كلها وعمل بما أشير به عليه فلا يقوى

عليه الشيطان في شيء أصلا. ويقول أحد الآباء في ذلك: «**لست اعرف للإنسان سقطة إلا إذا صنع هواه، فإذا أبصرت واحدًا وقع فأعلم أنه إنما وقع لأنه كان يقنع برأي نفسه**».

وجاء في كتاب البستان أيضاً أن أخا سأل أنبا بيسيرس ماذا أصنع؟ إن نفسي ليس لها دموع ولا تنهد ولا تخاف الله!؟ فقال له الشيخ «**أذهب وإجلس مع إنسان يخاف الله فهو يعلمك خوف الله**».

كذلك القديس برصنوفيوس نجده يقول. «**الذي يريد أن يعرف الطريق إذا لم يسر مع مَنْ يرشده في الطريق من أوله إلى آخره فلن يبلغ البتة إلى المدينة، فاترك هواك خلفك واخضع في كل شيء وأنت تخلص**». وفي موضع آخر نجد مقولة جميلة تقول «**أصنع كل شيء بمشورة، وبلا مشورة لا تصنع شيئا، لأنه لا يوجد من لا يحتاج إلى المشورة إلا الله وحده الذي خلق الحكمة**».

فالذي يظن انه في غنى عن المشورة فقد شبه نفسه بالله خالق الحكمة، وهذه هي الكبرياء التي سقط بها آدم من الحياة وخرج من الفردوس لكونه أراد التشبه بالله في معرفة الخير والشر. إن كتب الله تعلمنا أن العدو الشرير له استطاعة أن يحسن للإنسان ما ليس هو حسن ويجعله يظن انه حسن ويقبح عنده ما ليس بقبيح ويجعله يظن انه قبيح، ومن أجل هذا وجب على كل واحد منا أن لا يثق برأيه فيما يراه انه حسن أو قبيح بل في كل شيء يستشير أب اعترافه الذي قد اتخذه له في الرب ويؤمن أن كل كلمة يسمعها من فمه ليست من فم المخلوق.. بل من فم الله الخالق الحكيم إذا قبلها بالإيمان بالذي وعدنا لأنه سيكون معنا جميع الأيام إذا

كنا نتتلمذ لمن يعلمنا حفظ وصاياه لأنه هكذا قال «**تلمذوهم وعلموهم حفظ جميع ما أوصيتكم به وهاأنذا معكم جميع الأيام والى انقضاء الدهر**». وواضح انه لا يكفى الإعتراف بالخطية وبالضيقات للأب الكاهن دون طاعة إرشاده ولو كان مخالفًا لهوى قلوبنا، ويجب بالأكثر أن نطيع ونتضع لئلا نسقط فإن الشياطين بالعظمة والمعصية سقطوا وهلكوا. ونورد هنا الخبر الآتي عن الطاعة: قيل أن أحد الشيوخ أبصر أربعة مراتب مرتفعة إلى السماء.

الأولى- مريض صابر شاكر الله،

الثانية- صحيح يضيف الغرباء ويُنَيِّح الضعفاء،

الثالثة- منفرد بالبرية مجتهد،

الرابعة- تلميذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله، ووجد أن مرتبة التلميذ أسمى من المراتب الثلاثة الأخرى- وزعم أنه سأل الذي أراه ذلك قائلًا: كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم فأصبح أكبرهم مرتبة؟ فقال «**إن كل واحد منهم يعمل الخير بهواه أما هذا فقد قطع هواه لله وأطاع معلمه لأجل الله أفضل الفضائل**».ومن أقوال أنبا باخوميوس لتلميذه تادرس: إن من يتقدم ليسير بمرضاة الله، عليه أولا أن يطهر نيته فإن النية تركها الرب في جميع الناس، كذا المشيئة المخيرة والإفراز الحسن والمعرفة لأن فعل الروح القدس يبكت الإنسان على الخطية ويحثه على التوبة، أما من لا يطيع إرشاد الروح القدس ويقاومه فلأنه يستمر في خطيئته وتبقى خطيئته بلا مغفرة ويخلد في العقاب إلى الأبد، ولا تكون له بعد رحمة لأن الرحمة لا تكون أبدًا إلا بحفظ وصايا المسيح، وان وصايا

المسيح لا يمكن حفظها إلا بمعلم يؤدب ذلك التلميذ كالطفل مع المعلم لا يكتم عنه شيئًا -لا من أفعاله ولا من أفكاره- ويتدبر برأي معلمه في الله، فمن صار مثل الصبي واتضع اتضاعه ينال ملكوت السموات، كما يقول الرب في الإنجيل المقدس: «**إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات، ومن اتضع مثل هذا الصبي فهو العظيم في ملكوت السموات، وقد حقق الآباء معلمو الكنيسة أن الاعتراف والتلمذة هما الاتضاع والصبوة التي قال عنها ربنا يسوع المسيح**».

نتائج سر التوبة

١ - بالتوبة ننال غفران الخطايا .

يقول القديس لوقا البشير «**أن يكرز باسمه بالتوبة و مغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم**» (**لو ٢٤ : ٤٧**). ومكتوب في سفر الأعمال «**فقال لهم بطرس توبوا و ليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس**» (**اع٢ :٣٨**) ومكتوب أيضاً في سفر الأعمال «**فتوبوا وأرجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب**» (**اع٣ :١٩**). ومكتوب أيضاً «**هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطي اسرائيل التوبة و غفران الخطايا**» (**اع ٥ : ٣١**). من الآيات السابقة يتضح العلاقة الوثيقه بين التوبة ومغفرة الخطايا وبدون التوبة لا يمكن الحصول علي مغفرة الخطايا .

٢ - بالتوبة ننال الخلاص والحصول علي رجاء الحياة الأبدية .

فالسيد المسيح عندما تاب القديس متي الرسول ورد الأموال إلي أصحابها قال «**اليوم قد حدث خلاص لهذا البيت**». والقديس بولس الرسول يقول «**لان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة و أما حزن العالم فينشئ موتا**» (**٢كو ٧ : ١٠**).

٣ - بالتوبة ننال البنوة للّه.

فإن كانت الخطية انفصال عن الله وأبوته فالتوبة هي رجوع إلي حضن الله كما فعل الابن الضال عندما تاب ورجع إلي بيت أبيه وحضنه .

٤ - بالتوبة ننجي من الهلاك الأبدي.

كما يقول السيد المسيح «**إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون**» (**لو ١٣: ٣ – ٤**). وكما يقول القديس بطرس الرسول «**لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا و هو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة**»

(**٢بط٣ : ٩**). ويتضح من الآية السابقة أن التوبة مضادة للهلاك .

٥ - بالتوبة ننال المصالحة مع اللّه ونوال سلامه .

في سفر أعمال الرسل يقول «**فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمنة الجهل**» (**اع ١٧ : ٣٠**).

سر التوبة والاعتراف يكشف عن محبة الله العجيبة في المغفرة. دائمًا الإنسان الخاطئ موضع إشفاق الله. غير الإنسان . الإنسان لا يغفر بسهولة ، فالأب عندما رجع ابنه الضال فرح وأخذه في أحضانه، لكن أخوه تضايق لأن أبوه فرح به. وقال له جديًا لم تعطني لأفرح مع أصدقائي.

طقس سر الأعتراف

أولاً: من جهة الصلوات.

بعد إقرار التائب إقراراً كاملاً بخطاياه-في وقار الكلام وخشوع الجسد، ووقار الاستيضاح والمناقشة... يضع الكاهن الصليب علي رأس المعترف، ويمسك بابهام يده اليمني وأصابع يده اليسري فوق رأس المعترف. ووضع الكاهن يديه فوق رأس المعترف ومسكه بهما إشارة إلي أبوة الله الحنانة القابلة إليه التائبين. أما وضع الصليب فوق رأس المعترف، فذلك لأن موهبة الغفران وقوته يستمدها الكاهن من دم ربنا المسفوك علي الصليب.

أما وضع إبهام يد الكاهن اليمني فوق رأس المعترف فلأنه خلال صلوات السر يرشمه ثلاث رشوم بالصليب للتقديس. أما الصلوات الطقسية التي يصليها الكاهن فوق رأس المعترف هي : (**الصلاة الربانية - صلاة الشكر - المزمور الخمسين - صلوات التحليل الثلاثة**).

وفي النهاية يختم بنفخة الروح القدس ثلاث مرات وفيها يقول « **ربنا يسوع المسيح الذي ترك لكهنته سلطاناً ليحلوا جميع التائبين المؤمنين به حقاً ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة . وأنا بسلطانه الذي فوض إلي** (من الآباء الرسل والكنيسة) **أحلك من جميع خطاياك**

باسم الآب والابن والروح القدس آمين».

نحن نصلي صلاة الشكر كمنهج عام لكل أسرار الكنيسة وبعد المزمور الخمسين وطلب الرحمة يضيف بعض من الآباء الكهنة مزمور ٣٥ و ٣٧ ويسموها مزامير النصرة في الحرب الروحية.

يقول «**خاصم مُخاصميَّ، قاتل مُقاتليَّ، قم أمسك مجننًا وترسًا وهلم لخلاصي**». والبعض أيضاً يمكن أن يضيفون أوشية المرضى.

من أجل شفاء الروح والنفس وذلك قبل صلاة التحاليل الثلاثة. والبعض يكتفي بالتحليل الثالث الأخير لكن الحقيقة الثلاث تحاليل يعطوا فكرة متكاملة عن السلطان الكنسي. وعن سلطان الكهنوت في المغفرة مع الطلبات اللازمة لنوال المغفرة.

ثانياً: بخصوص مكان الاعتراف.

الاعتراف في الحال الطبيعية يتم في الكنيسة. أما في حال المرض أو سواها من الحالات الاضطرارية فيتم خارج الكنيسة أو مكان وجود طالب الاعتراف .

ويحبذ كثير من الآباء الكهنة أن يكون مكان الاعتراف في آخر الكنيسة أي في «**خورس التائبين**» .

ثالثاً: سرية السر .

لا يُفشى بالاعتراف أبدا . ولهذا لا يحق للمعرف أن يعلن أي شيء من المعلومات التي تأتيه من اعترافات المؤمنين . كما لا يحق له

أبدا استعمال مثل هذه المعلومات استعمالا يسيء إلى المعترف، أيا كان السبب. وإن القوانين الكنسية تحرم أي كاهن يبوح بسر الاعتراف في أي ظرف من الظروف. كما أنه لا يحق له أن يدلي بأية معلومة سلمت إليه خارج الاعتراف بوصفه كاهناً.

رابعاً: من جهة وقت الأعتراف.

أما من جهة وقت الاعتراف. الكنيسة لم تحدد زمن معين لكن تركت للكاهن مع المعترف تحديد الوقت. كما تمنع الكنيسة الاعتراف بالمراسلة أو الاتصال الهاتفي (**التليفون**) ومن بين أسباب ذلك، حتى لا يفشى السر فيتهم الكاهن أنه هو الذي أفشى السر.

خامساً: الرهبان وسر الأعتراف.

ليس للراهب أن يسمع اعتراف العلمانيين لا الرجال ولا النساء (**ولكن الراهب يعترف على الراهب الكاهن**) .

إن كنيستنا الأرثوذكسية بها النظامان: نظام الكهنة المتزوجين كهنة الرعية ثم نظام الكهنة الرهبان .

وآباء الاعتراف لجمهور المؤمنين في العالم هم عادة من الكهنة المتزوجين أما الكهنة الرهبان فإذا خدموا في الكنيسة أو في العالم فيُعفون من سماع الاعترافات ومن افتقاد المؤمنين في البيوت ويمكن للكهنة الرهبان أن يباشروا الصلوات والقداسات فقط .

فالاعتراف يجب أن يكون على كاهن الرعية وكاهن الرعية هو

الكاهن المتزوج .

سادساً: المرشد الروحي .

ليس للخادم أو المرشد الروحي الحق في أن يطَّلع على تداريب المخدومين الروحية والتي تشتمل على مقياس الحياة الروحية وأنواع الخطايا وعددها والفضائل الروحية، ولا أن يعطى تداريب إنما له أن يقوم بالتوجيه العام. لأن هذا التصرف ضار بعمل الإرشاد، ويفسد حكمة الكنيسة في جعل أمثال هذه الأمور مقصورة على كاهن الاعتراف (**سماع الاعتراف ليس لأي كاهن بل لكاهن ذي صفات خاصة ويفوضه أسقفه بذلك ويتلو عليه صلاة خاصة مسجلة في كتاب الرسامات ويمنحه وثيقة بذلك تخوّل له أن يكون أب اعتراف**)

سابعاً : التأديبات الكنسية .

الكنيسة منذ نشأتها وهي تمارس التأديبات علي الخاطئ لإصلاح سيرته وتقويم انحرافاته وقد تم تقنينها (**قانون١٢ من قوانين مجمع نيقية، القانون الخامس لمجمع أنقرة ، قانون رقم ٢٢من قوانين مجمع قرطاجنة**). بعد أن يسمع الأب الكاهن للمعترف ويجد الضرورة لإعطائه توجيهات روحية وبرنامجا عمليا لكي يطبقهما في حياته الخاصة، يحدد له ما هو ملائم من صوم وصلاة ومطالعات روحية وأعمال الرحمة المسيحية كالإحسان وغيره. هناك مبدأ يقول «**لكل خطية تأديب ولكل فضيلة تدريب ولكل إنسان ما يناسبه من التدريب**

أو التأديب». وعلى الأب الكاهن أن يتحلى بالحكمة والتمييز الإلهيين، فيقدّر نوع الخطايا وأهميتها وكذلك حالة المعترف واستعداده للتوبة ليقدم له، وهو الطبيب الروحي، الإرشادات التي تدفعه في طريق القداسة. يجدر بالذين نالوا من الله سلطان الحل والربط أن يفحصوا ماهية الخطيئة واستعداد الخاطئ للرجوع، وأن يستعملوا الدواء النافع لكل مرض... لأن أمراض الخطيئة مستعصية ومتعددة الأنواع.. لأن غاية الله من الذي ائتمن على سلطة الرعاية هو أن يرد الخروف الضال ويشفيه... وعلى كل حال، على الراعي أن يحارب المرض وأن يجاهد ليشفي جرح التائب باختباره ثمار التوبة وبحسن درايته ليقوده إلى الاستنارة العلوية.فروض التوبة ليست عقاباً يقتضيه العدل الإلهي، بل هي تأديب أبوي للتائب أوله مؤلم لكن آخره فرح عظيم، وهي أيضا وسيلة تحصن باقي المؤمنين من السقوط. « **يا بني لا تحتقر تأديب الرب ولا تتهاون إذا وبخك ، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه . إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين، وأي ابن لا يؤدبه أبوه... أفلا نخضع بالحري لأبي الأرواح فنحيا. وأما (الله) فأدبنا لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته. لا جرم أن كل تأديب لا يظن في وقته للفرح بل للحزن، إلا أنه فيما بعد يعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام**» (**عب١٢**) وقد قال القديس بولس الرسول «**إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ،فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟والذي يحبه**

الرب يؤدبه» (**عب١٢**). كما قال أيضاً «**وقد حكم علينا أن نؤدب من الرب لكي لا ندان من العالم**» (**١كو١١: ٣٢**).

وقد مارس القديس بولس الرسول التأديب مع خاطئ كورنثوس ثم اكتفي الرسول بالعقاب وسامحه (**٢كو٦ :٨**). وكما قلنا هذه التأديبيات ليست وفاء للعدل الإلهي بل هي رياضة روحية (تداريب مختلفة)لتقوية عزيمة الخاطئ وضبط حواسه وهي بمثابة أدوية روحية لمعالجة النفس البشرية المريضة بالخطية. ومن فوائد التأديبات ما يلي: أنها تلين قساوة القلب وتحرك الخاطئ للشعور بذنوبه والأعتراف بها .كما انها تداريب روحية ضد شهوات النفس. وتدعو للنمو في الفضيلة. كذلك من أهم أهداف التأديبات الكنسية انسحاق الخاطئ أمام الله ورجوعه عن خطاياه وشروره .

الله يرفع العقوبة الأبدية لصاحب التوبة الصادقة، ولكن ربما العقاب الزمني في الحياة الدنيا يبقى ولا يزول:

أ. حتى يذكر الإنسان خطيئته فلا يعود إليها .

ب. حتى يتبين نتيجة أفعاله فلا يعود يخطئ ويخشى الله، لأن الله رسم للطبيعة قانوناً صارماً لا يتخلّف : إن لكل فعل نتائجه «**الله لا يُشمخ عليه ، فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً**» (غل٦:٧).

الشواهد الكتابية لسر التوبة والاعتراف

أولاً:- العهد الجديد.

١ - السيد المسيح وتأسيس السر.

سلطان الحل والمغفرة للتلاميذ والرسل جلي وواضح في العهد الجديد. وقال الرب لبطرس الرسول «**أنت بطرس و على هذه الصخرة أبني كنيستي و أبواب الجحيم لن تقوى عليها و أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات و كل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات**» (**مت ١٦: ١٩**)

وكرر الرب هذا الوعد للتلاميذ»إِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ، فَاذْهَبْ إِلَيْهِ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى انْفِرَادٍ. فَإِذَا سَمِعَ لَكَ، تَكُونُ قَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَخاً آخَرَ أَوِ اثْنَيْنِ، حَتَّى يَثْبُتَ كُلُّ أَمْرٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، فَاعْرِضِ الأَمْرَ عَلَى الْكَنِيسَةِ. فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لِلْكَنِيسَةِ أَيْضاً، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَجَابِي الضَّرَائِبِ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: «**كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ.**» (**مت١٨: ١٥ - ١٨**)

وكلمات السيد المسيح واضحة وصريحة فهو يتكلم عن الكنيسة وعملها وسلطان الربط والحل الذي منحه للكنيسة ممثلة في الآباء الرسل وخلفائهم من الآباء الأساقفة والكهنة .وقد أكد السيد المسيح هذا السر وكلامه هذا بعد القيامة حيث يشهد القديس يوحنا في انجيله قائلاً : (**وَلَمَّا حَلَّ مَسَاءُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الأَوَّلُ مِنَ الأُسْبُوعِ، كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ فِي بَيْتٍ أَغْلَقُوا أَبْوَابَهُ خَوْفاً مِنَ الْيَهُودِ، وَإِذَا يَسُوعُ يَحْضُرُ وَسْطَهُمْ قَائِلاً: «سَلاَمٌ لَكُمْ!» وَإِذْ قَالَ هَذَا، أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ أَبْصَرُوا الرَّبَّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «سَلاَمٌ لَكُمْ. كَمَا أَنَّ الآبَ أَرْسَلَنِي، أُرْسِلُكُمْ أَنَا»**).

قال هذا ونفخ فيهم وقال لهم : «**إقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم غفرت لهم، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت**» (**يو ٢٠: ٢٣**).

ومن النص المقدس السابق نجد تأسيس لسر الكهنوت من حيث قبول الروح القدس من قبل نفخ السيد المسيح ومنح الرسل سلطان

الحل والربط للخطايا فقد أسس الرب يسوع هذا السر المقدس كعمل للروح القدس فى الكنيسة المقدسة إلى كمال الدهور .

ويتضح ذلك من قول السيد المسيح فى موضع آخر قبيل صعوده **« وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر»** (**مت ٢٨: ٢٠**).

والأية السابقة تدل على دوام الكهنوت لأن السيد المسيح حاضر فى كنيسته ووعده للرسل قائم ومستمر مع خلفائهم وفى عهد من يأتى بعدهم ، لذا فإن هذا السر قد أعطاه الرب إلى الكهنه وهذا السر الدائم يظل لمغفرة الخطايا **« وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم»** (**عب٧ :٢٥**) وفي هذا يقول القديس أمبروسيوس «**عمل الكاهن هو عطية الروح القدس، وحقه أن يغفر الخطية (بالروح القدس) وأن يمسكها**»(**ك . في الروح القدس**) كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم « **أن الآب أعطي الحكم كله للابن وأري أن هؤلاء(الرسل) تسلموه كله من الابن ...ولكن هؤلاء قد نالوا سلطاناً لا علي برص جسداني بل علي الدنس النفساني ،ولا أن يفحصوه بعد التطهير بل أن يطهروه تماماً.... كملكٍ أرسلهم حكامًا، معطيًا إياهم سلطانًا أن يلقوا في السجن أو أن يُخرجوا منه، هكذا إذ أرسلهم قلدهم ذات السلطان**»(**ك . الكهنوت خطاب ٣، ٥، ٦**). ويحذر البابا غريغوريوس (**الكبير**) من إساءة استخدام هذا السلطان، حيث يمارسونه حسب

هواهم، وليس حسب شخصية من يخضعون له، فينطبق عليهم القول: «**لإماتة نفوس لا ينبغي أن تموت، واستحياء نفوسِ لا ينبغي أن تحيا**» (**تفسير- حز ١٣: ١٩**). تسليم السر ليس فقط للحل بل أيضا للربط في الخطية إلي الأبد وهكذا ربط القديس بطرس الرسول سيمون الساحر « **فقال له بطرس لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم ليس لك نصيب و لا قرعة في هذا الأمر لان قلبك ليس مستقيما أمام الله فتب من شرك هذا و اطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك لأني أراك في مرارة المر و رباط الظلم فأجاب سيمون و قال اطلبا أنتما إلى الرب من أجلي لكي لا يأتي علي شيء مما ذكرتما**» (**أع ٨ :٢١ -٢٣**) كذلك ربط القديس بولس الرسول الزاني الذي في مدينة كورنثوس وعند إحساسه بالحسرة والأسى غفر له خطيئته حتى لا يفقد الأمل في التوبة ودعا الأخوة أن يقبلوه معهم في شركتهم مرة أخري وقد ذكر الرسول بولس ذلك في رسالته الثانية إلي أهل كورنثوس (٢: ٥) « **لكن إن كان احد قد احزن فانه لم يحزني بل احزن جميعكم بعض الحزن لكي لا أثقل مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحري و تعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط لذلك اطلب أن تمكنوا له المحبة لأني لهذا كتبت لكي اعرف تزكيتكم هل انتم طائعون في كل شيء و الذي تسامحونه بشيء فانا أيضا لأني أنا ما سامحت به إن كنت قد سامحت بشيء فمن أجلكم بحضرة المسيح لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره**».

من المثالين السابقين للقديس بطرس الرسول والقديس بولس الرسول يتضح سلطان الكهنوت في العهد الجديد وكيف يمكنهم ليس الربط فقط بل والحل أيضاً عن الخطايا. وكيف يربطون ويحلون دون أن يعرفوا الخطايا دون أن يعترف الخاطئ بخطيئته أمامهم؟!. (**إذا لاحظو خطأ مايستدعى...**)وفي سلطان الحل والربط الذي منحه السيد المسيح لتلاميذه ووكلائه الأمناء يتأمل القديس أغسطينوس قائلاً: تأمل الأمر ذاته في إقامة لعازر، فأنه خرج خارجاً ولكن بأربطته. انه صار حياً بالاعتراف، ولكنه لم يكن قادراً علي السير إنما يسقط بأربطته. فماذا تفعل الكنيسة التي قيل لها «**كل ما تحلونه علي الأرض يكون محلولاً في السماء**» إلا ما قاله الرب لتلاميذه «**حلوه ودعوه يذهب**». هناك مبدأ كان اليهود دائمًا يقولونه ففي (**لوقا ٥: ١٧**) عندما قال السيد المسيح للمرأة الخاطئة مغفورة لك خطاياك فقالوا له «**لا يقدر أن يغفر الخطية إلا الله وحده**» وهذا صحيح فعلًا لأن المسيح عندما غفر الخطية هو الله. والآن من الذي يغفر الخطية؟ الروح القدس عن طريق الكاهن. لذلك قبل أن يقول لهم «**من غفرتم خطاياه غفرت لهم**» نفخ في وجوههم وقال لهم «**اقبلوا الروح القدس**». أنا لا أدعى لنفسي كشخص أنى أستطيع أن أغفر الخطية لكن هذه عطية يعطيها لنا الروح القدس من خلال الكهنوت. لذلك يقول الكاهن في القداس في الصلاة السرية «**ليكن عبيدك آبائي وأخوتي وضعفي محالين من فمي بروحك القدوس**». أي أن فم الكاهن مجرد أداة لتوصيل حل الروح القدس فلا يغفر الخطية

إلا الله وحده. نحن خدام السر لكن الروح القدس هو الذي يغفر. «**الكاهن هو خادم السر**» .

إذا قال البروتستانت أن هذا الكلام كان للرسل فقط نجيب بأنه ليس للرسل فقط بدليل أنه قال للرسل في (**مت ٢٨: ٢٩**) ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر. الرسل والتلاميذ لم يعيشوا طول الأيام وإلى انقضاء الدهر. قبل أن ينتهي القرن الأول كان معظمهم أستشهد. يوحنا الحبيب بقى فترة لأن ربنا كان حفظه للرد على الهرطقات التي ظهرت. لكن ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر تخص الكنيسة. لذلك كتبنا سلطان الكنيسة وليس سلطان أفراد، الكنيسة الباقية الممتدة عبر الأجيال.

لقد كان سر التوبة هو أساس دعوة السيد المسيح ،هناك أقوال كثيرة للسيد المسيح له كل المجد تدل علي أن التوبة هي أساس الإيمان والخلاص والحصول علي الحياة الأبدية ومن هذه الأقوال ما يأتي : -

« **من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز و يقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات**» (**مت ٤ : ١٧**).

«**فاذهبوا و تعلموا ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت لادعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة**»

(**مت ٩ : ١٣**). «**و يقول قد كمل الزمان و اقترب ملكوت الله فتوبوا و امنوا بالإنجيل**» (**مر ١ : ١٥**)

« **فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة**» (**مر ٢ : ١٧**).
«**أقول لكم انه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة و تسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة**» (**لو ١٥ : ٧**).

٢- في كرازة يوحنا المعمدان .

«**وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم**» (**مر ١ : ٥**).
ومن المعروف بأن يوحنا المعمدان كان ينادي بمعمودية التوبة التي كانت رمزاً وإشارة لما سوف يؤسسه السيد المسيح .وكانت من بين جوانبها الاعتراف الشفوي ومن الواضح أن ما فعله الشعب من اعتراف بالخطايا كان له سنده في العهد القديم.

٣- في سفر أعمال الرسل .

«**وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم**» (**أع ١٩ : ١٨**). ومن الطبيعي أن الذين يأتون إليهم ليس للعامة ولكن للكنيسة ممثلة في الآباء الرسل. فقد كانوا يأتون إلى الرسل ويقولوا نحن أخطأنا وفعلنا كذا وكذا وكان التلاميذ يعطوهم الحل الذي قد أعطاه لهم الرب.وقد كان رجوع القديس بولس الرسول إلي الإيمان الذي كان يضطهده قبلاً كان عن طريق حنانيا أسقف دمشق ،برغم أن الرب قد ظهر له في الطريق ،وكان ممكناً أن يخبره بكل ما يريده منه ،ولكنه قال له «**قم وادخل المدينة،فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل**»(**أع ٩ : ٦**). كذلك كرنيليوس قائد المائة

الرجل البار الذي ظهر له ملاك الرب وأخبره أن صلواته وصدقاته صعدت تذكاراً أمام الرب، أخبره الملاك بقوله: «**أرسل إلي يافا رجالاً واستدع سمعان الملقب بطرس.. هو يقول لك ماذا ينبغي أن تفعل**» (**أع ١٠ : ٦**).

٤- رسائل القديس بولس الرسول.

« **لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين لكن أب واحد (ليس آباء كثيرون)**» (**١كو٤ : ١٥**). «أما الشيوخ المدبرون حسنا فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة و لاسيما الذين يتعبون في الكلمة و التعليم.... الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف..... خطايا بعض الناس واضحة تتقدم الى القضاء(الكنسي) واما البعض فتتبعهم» (**١تي ٥ : ٢٤**).

٥- رسائل القديس يوحنا الحبيب.

«**إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا .إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتي يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم**» (**١يو١: ٨ - ٩**). ويتضح من القول المقدس السابق أن الاعتراف بالقول «**إن قلنا...إن اعترفنا**».

٦- رسالة القديس يعقوب الرسول.

«**أمريض أحد بينكم فليدعوا قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تُغفر له، اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا**» (**يع٥: ١٤**).

وهنا الكلام صريح جداً فالكنيسة موجودة وكذلك قسوس الكنيسة والاعتراف موجود وينتج عنه مغفرة الخطية وهذا ما تصنعه الكنيسة في سر مسحة المرضي حيث يأخذ الأب الكاهن اعتراف المريض قبل عمل السر ثم يدهنه بالزيت. المقصود هنا بـ«**صلوا بعضكم لأجل بعض**» أن البعض وهم كهنة يصلوا لأجل البعض وهم مرضى لأن الكهنة مأخوذين من الشعب والمرضى جزء من الشعب. فصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا قالها بصورة إجمالية كمبدأ. فاعترفوا بعضكم على بعض بالزلات يبقى البعض وهم خطاة يعترفوا على البعض وهم كهنة. إذًا اعترفوا بعضكم على بعض بالزلات يقصد الخطاة على الكهنة لأن الموضوع من أوله أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له. ونحن ليس عندنا آية تنسخ أو تلغى آية، ليس عندنا ذلك. ولذلك هو وضع الإطار في الأول، مريض أحضر كاهن لأنه محتاج لصلاته. محتاج لشيئين الشفاء والغفران. فصلوا لأجل بعض واعترفوا على بعض ففي نفس الإطار تفهم.

لقد تسلم آبائنا الرسل الأطهار من السيد المسيح سر التوبة وقد جعلوا التوبة هي أساس كرازتهم ويتضح ذلك من الشواهد الآتية : -

«**فخرجوا و صاروا يكرزون أن يتوبوا**» (**مر ٦ : ١٢**).

«**و أن يُكرز باسمه بالتوبة و مغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم**» (**لو ٢٤ : ٤٧**).

« فقال لهم بطرس توبوا و ليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (اع ٢ : ٣٨).

« فتوبوا و ارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب» (اع ٣ : ١٩).

«هذا رفعه الله بيمينه رئيسا و مخلصا ليعطي إسرائيل التوبة و غفران الخطايا» (اع ٥ : ٣١).

« فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمنة الجهل» (اع ١٧ : ٣٠)

« شاهدا لليهود و اليونانيين بالتوبة إلى الله و الإيمان الذي بربنا يسوع المسيح» (اع ٢٠ : ٢١)

« بل أخبرت أولاً الذين في دمشق و في أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الأمم أن يتوبوا و يرجعوا إلى الله عاملين أعمالا تليق بالتوبة» (اع ٢٦ : ٢٠)

« أم تستهين بغنى لطفه و إمهاله و طول أناته غير عالم ان لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة» (رو ٢ : ٤)

«مؤدبا بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق» (٢تي ٢ : ٢٥)

«لذلك و نحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة و الإيمان بالله» (عب ٦ :١)

«أنا افرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتخسروا منا في شيء» (٢كو ٧ : ٩)

« أن يذلني الهي عندكم إذا جئت أيضاً و أنوح على كثيرين من الذين

اخطئوا من قبل و لم يتوبوا عن النجاسة و الزنا و العهارة التي فعلوها» (٢كو ١٢ : ٢١)

«و سقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية و يشهرونه» (عب ٦ : ٦)

« لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا و هو لا يشاء أن يهلك أناس بل ان يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣ : ٩)

ثانياً :- في العهد القديم.

(١) آدم وحواء في الجنة.

أن الله قد مهد لآدم الاعتراف بما فعله مع حواء فقال «**هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها**» (**تك٣: ١١**). وكان الله يعلم ما فعلاه. ونفس الشئ مع قايين فقد سأله الرب «**أين هابيل أخوك**». وفي هذا قال القديس أغسطينوس والقديس غريغوريوس «**أن الله تعالي سأل الإنسان الأول والمرأة الأولي قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه. وذلك ليقدم لهما سبباً للإقرار بذنبهما فينالا الغفران باعترافهما الذليل الوضيع**»

(٢) الاعتراف من مهام الكاهن في العهد القديم.

منذ القديم كان الكاهن منوطاً به أن يقف علي خطايا شعبه ليصلي عنهم ويكفر عن أخطائهم. وبناء علي تصريح الخاطئ بخطيئته كان الكاهن يفرض عليه نوع الذبيحة التي يقر بها للرب ليغفر الرب له. لقد رسم الله لنا هذا الطريق منذ بداية تعامله مع الإنسان، لذلك نجد في العهد القديم إن الله وضح لشعبه بأنه يوجد خطايا والخطايا هذه لا تغفر بدون تقديم ذبائح، كما يوجد أنواع من الذبائح معينة، والإنسان يأخذ الذبيحة ويذهب بها إلى الأب الكاهن والأب الكاهن يضع يده على الذبيحة ويده الأخرى على الشخص ويقول: يا رب انقل خطيئته على هذه الذبيحة ويبدأ يذبح هذه الذبيحة عوض عن خطيئة الإنسان. وهذا ما يحدث في الاعتراف، وهو أن

الأب الكاهن يضع يده على المعترف ويصلي التحليل ويقول يا رب انقلها واغفرها في استحقاقات دمك المقدس. لقد وضع الله نفس النظام الذي وضعه الله في العهد القديم وضعه في العهد الجديد. ويتضح ذلك من النصوص المقدسة الآتية : -

أ - (لا ٥ : ٤-٦)

«**فان كان يذنب في شيء من هذه يقر بما قد أخطأ به. و يأتي إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيئته التي أخطأ بها أنثى من الأغنام نعجة أو عنزا من المعز ذبيحة خطية فيكفر عنه الكاهن من خطيئته**» هو هو نفس نظام العهد الجديد، يأتي الإنسان المعترف ويعترف بخطئه والكاهن ما عليه إلا أن يصلي، ويطلب من الرب أن ينقل خطيئته إلى دم المسيح ودم المسيح يطهرنا من كل خطية .

ب – (لا ١٦: ٢١)

« **و يضع هرون يديه على رأس التيس الحي و يقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل و كل سيئاتهم مع كل خطاياهم و يجعلها على رأس التيس و يرسله بيد من يلاقيه إلى البرية**»

ج - (لا ٢٦ : ٤٠)

« **لكن إن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم في خيانتهم التي خانوني بها وسلوكهم معي بالخلاف ...إلا أن تخضع قلوبهم الغلف ويستوفوا حينئذٍ عن ذنوبهم**»

د - (عدد٥ :٦ ، ٧).

« **قل لبني إسرائيل إذا عمل رجل أو امرأة شيئاً من جميع خطايا**

الإنسان و خان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس. فلتقر بخطيئتها التي عملت و ترد ما أذنبت به بعينه و تزد عليه خمسه و تدفعه للذي أذنبت إليه».

وكان يجري الاعتراف للكاهن لأنه هو حارس الشريعة وحاميها، وهو الذي يفرض علي المخطئ التصرف الذي يصنعه لتصحيح الخطأ الذي ارتكبه «**وكما يقومها الكاهن تكون**»(**لا ٢٧ : ٨ ،١٢**)

ويؤكد ما سبق ما جاء في التلمود اليهودي «**إنه يظهر من التقليد أن الخاطئ يلزمه أن يوضح في الاعتراف جميع أعماله**» .

كما يقول الرابي ابن عزرا اليهودي «**الاعتراف لازم ،وأنهم عندما يقدمون الذبيحة إن لم يتوجعوا ويعترفوا اعترافاً مرئياً موضحاً الخطايا لا تكون للذبائح قوة وفائدة لهم**».

(٣) اعتراف مريم وهارون وقبولهم قانون التوبة .

«**فقال هارون لموسى أسألك يا سيدي لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا و أخطأنا بها. .... فصرخ موسى إلى الرب قائلا اللهم اشفها. فقال الرب لموسى و لو بصق أبوها بصقا في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام تحجز سبعة أيام خارج المحلة و بعد ذلك ترجع. فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام و لم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم**» (**عد ١٢ : ١١ - ١٣**)

وفي هذا رمز لما يحدث في سر الاعتراف اليوم فالخاطئ يعترف بخطيئته أمام الأب الكاهن ويسمع الحل والمغفرة والتأديب من فمه كما من فم الله.

(٤) سفر التثنية (ص ١٧)

« إذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم و دم أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك فقم واصعد إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك.و اذهب إلى الكهنة اللاويين وإلى القاضي الذي يكون في تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء. فتعمل حسب الأمر الذي يخبرونك به من ذلك المكان الذي يختاره الرب وتحرص ان تعمل حسب كل ما يعلمونك. حسب الشريعة التي يعلمونك و القضاء الذي يقولونه لك تعمل لا تحد عن الأمر الذي يخبرونك به يمينا أو شمالا. و الرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك أو للقاضي يقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من إسرائيل.فيسمع جميع الشعب و يخافون ولا يطغون بعد». وواضح من أمر الرب السابق أن من وظيفة الكهنة منذ القديم هو القضاء في الخطايا والقضايا وعلي الشعب سماع وطاعة قضائهم وهذا ما يحدث في الاعتراف في العهد الجديد. كما هو واضح أيضاً أن مكان الاعتراف هو الكنيسة حيث يوجد الكهنة وحيث المكان الذي اختاره الرب .

(٥) اعتراف عخان بن كرمي بخطيئته .

«فقال يشوع لعخان يا ابني أعط الآن مجدا للرب اله إسرائيل و اعترف له و اخبرني الآن ماذا عملت لا تخف عني فأجاب عخان يشوع و قال حقا إني قد أخطأت إلى الرب اله إسرائيل و صنعت كذا و كذ» (**يش٧ :١٩-٢٠**).

وهذا اعتراف صريح بالإثم إلي الرب وإلي خادمه يشوع .وإن قول يشوع « اعترف له و اخبرني» يدل علي اعتراف الخاطئ بخطيئته علي يد خادم الله هو نفس الوقت اعتراف لله.لأنه قد اعترف له بصفته خادماً لله. وهنا نرى وجوب أن يحاسب الإنسان نفسه ويعترف ويقتنع أنه أخطأ ويعترف إلى الإنسان المؤتمن على سرائر الله. البروتستانت يقولوا: نحن نعترف للإنسان وليس لربنا. نقول له: لا نحن نعترف لربنا في مسمع الكاهن. وهذا هو الوضع الطبيعي الذي كان موجود. عندما كان يخطئ أحد كانوا يحضروا ذبيحة وطبعًا الكاهن هو الذي كان يقدم الذبيحة فيكون موجود، يضع الخاطئ يده على الذبيحة ويقر بخطيئته فتنتقل الخطية منه للذبيحة. فتصبح الذبيحة عوضًا عنه فتدان الذبيحة وتفديه. ففي الأصل الإنسان يعترف لربنا ويخبر الكاهن.

(٦) اعتراف شاول الملك لصموئيل النبي .

« **أخطأت لأني تعديت قول الرب و كلامك لأني خفت من الشعب و سمعت لصوتهم و الآن فاغفر خطيتي و ارجع معي فاسجد للرب... قد أخطأت و الآن فأكرمني أمام شيوخ شعبي و أمام إسرائيل و ارجع معي فاسجد للرب إلهك فرجع صموئيل وراء شاول و سجد شاول للرب**» (**١صم١٥: ٢٤-٣١**) وكان لصموئيل سلطان الحل من الخطايا. ويتضح من المثال السابق أن شاول شعر بأنه لم يخطأ إلي الله فقط بل إلي نبي الله أيضاً .ولذلك وجه الكلام إلي صموئيل النبي قائلاً «**الآن فاغفر خطيتي و ارجع معي فاسجد للرب..**» لأن خادم الله ونبيه ينوب عن الله ويمثله، فمن يعترف له يعترف لله، ومن يستغفره يستغفر الله نفسه.

وهنا فيه اعتراف للرب واعتراف لصموئيل كاهن الله.

(٧) اعتراف داود النبي والملك لناثان النبي.

فقد أعطي ناثان النبي داود الحل من الخطية «**فقال داود لناثان قد أخطأت إلى الرب فقال ناثان لداود الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك لا تموت**» (**٢صم١٢: ١٣و١٥**). لقد اعترف داود لناثان بأنه أخطأ إلي الرب، فكان اعترافه للنبي اعترافاً للرب في نفس الوقت. ولم يرجع ناثان بعد ذلك إلي الرب، وإنما أجاب داود فوراً بصفته خادم الله ونبيه وقال له «**الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك لا تموت**». تماماً كما يفعل الكاهن في العهد الجديد فيعطي الحل الكهنوتي للخاطئ عندما يتبين صدق توبته. فمنذ العهد القديم نجد أن الكاهن هو الشخص الوحيد الذي له سلطان مغفرة الخطايا «**لان شفتي الكاهن تحفظان معرفة و من فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود**» (**ملا٢: ٧**).

ما فعله ناثان النبي مع داود الملك هو بعينه ما يحدث معنا، إننا نذهب إلى الكاهن، ونقول له: إننا أخطأنا إلى الرب، فيعطينا هذا التحليل «**إن الرب قد نقل عنك خطيئتك**»

فهذا هو التحليل، فالكنيسة عمرها ما تضع نظام من عندها بل هو الله ، السيد المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد الله لا يتغير. وهو معاملاته مع البشرية لا تتغير، وكنيستنا كنيسة محافظة جدا. ولا تسمح لنفسها أن تُغير كلمة واحدة مما تسلمته من آبائها ، وكل آبائنا بهذا النظام الذي تسلموه من مارمرقس هو هو...

(٨) صلاة عزرا .

«فلما صلى عزرا و اعترف و هو باك و ساقط أمام بيت الله اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جدا من الرجال و النساء و الأولاد لان الشعب بكى بكاء عظيما. . . فاعترفوا الآن للرب اله أبائكم اعملوا مرضاته و انفصلوا عن شعوب الأرض و عن النساء الغريبة» (عزرا ١٠ : ١-١١). ويؤكد سفر نحميا استجابة الشعب لعزرا الكاهن فيقول الوحي الإلهي «و انفصل نسل إسرائيل من جميع بني الغرباء و وقفوا و اعترفوا بخطاياهم و ذنوب أبائهم» (نحميا ٩ : ٢).

(٩) دانيال النبي يعترف عنه وعن الشعب .

يقول الوحي الإلهي علي لسان دانيال النبي «و بينما انا أتكلم و أصلي و اعترف بخطيتي و خطية شعبي إسرائيل و اطرح تضرعي أمام الرب الهي عن جبل قدس الهي» (دانيال بالتتمه ٩ : ٢٠) وأيضاً «و صليت إلى الرب الهي و اعترفت و قلت أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد و الرحمة لمحبيه و حافظي وصاياه أخطأنا و أثمنا و عملنا الشر و تمردنا و حدنا عن وصاياك و عن أحكامك» (دا ٩ :٤).

ومن صلاة دانيال النبي نجد أنه من وظيفة خدام الله إن يحملوا عنهم خطاياهم ويصُلوا عنها إلى الله وهذه وظيفة من وظائف الكاهن في العهد الجديد .

(١٠) سليمان الحكيم .

«من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها ينجح» (أم٢٨ : ١٣).

« الذين بلا إرشاد يسقطون كأوراق الشجر ، لكن السلامة في كثرة المشيرين» (أم ١١ : ١٤).

« ويل لمن هو وحده، إن وقع ليس له ثان ليقيمه» (جا ٤ :١٠).

(١١) يشوع بن سيراخ .

«لا تستح أن تعترف بخطاياك» (سي ٤: ٢٤).

الأدلة المنطقية لسر التوبة والاعتراف

١ -الخطيئة إساءة إلي الكنيسة.

الإنسان المؤمن حينما يخطئ فإنه لا يسئ إلى نفسه فقط وإنما يسئ أيضاً إلى الجسد الذي ينتمي إليه (الكنيسة). كما أنه يسئ أيضاً إلى الله القدوس البار . ولذا فإن الإنسان حينما يخطئ يُطالب بأن يندم على خطيئته ويكرهها، ثم يقر بها أمام الكنيسة فيغفر له الله. كذلك الخطيئة تُبعد الإنسان عن الله وعن ذاته وكذلك عن الكنيسة . لهذا فإن فعل المصالحة الحاصل بالتوبة يجب أن يتم أيضا في شركة الكنيسة . فهو إذا ، ليس عملا فرديا فحسب يقوم به المؤمن تجاه نفسه ، ولكنه كسائر الأسرار ، عمل يتم في شركة الكنيسة التي يمثلها الكاهن. لذلك وجب أن يكون الاعتراف أمام الكاهن الذي تؤهله الكنيسة لقبول اعترافات المؤمنين. كما أنه من خلال الاعتراف يتصالح الإنسان مع الكنيسة لأن الخطيئة التي تُبعد الإنسان عن الله تبعده عن الكنيسة.

٢ - الكاهن وكيل سرائر اللّه.

أن الكاهن كوكيل لسرائر الله (**١كو٤ :١، ٢**) فهو مسئولاً عن الأسرار المقدسة فلا يقرب إليها إلا المستحقين لها .وإلا يكون مقصراً في وكالته مهملاً في أمانته .كما أنه مسئول عن نفوس المؤمنين التي أؤتمن عليها ،فإذا أخطأت إلي الله فإنه يحمل إثمها إذا لم ينذرها ويردعها عن

خطيئتها (**حز٣٣ :٧-٩**). لذا فالخطيئة التي يرتكبها المؤمن لم يخطأ بها إلي الله وحده. وإنما أخطأ بها ضد الكاهن أيضاً لأنه مسئول عنه أمام الله . وهو يجاوب عنها. لذلك وجب علي المؤمن أن يعترف بخطيئته علي يد الكاهن الذي اتخذه مرشداً وأباً ،لأن الكاهن أصبح بهذه الصفة شريكاً له في حياته الروحية. ومن ثم فمن حق الكاهن علي تلميذه أن يكشف له قلبه ويفشي له سره. ليشارك معه في تخليصه من خطاياه، ويجاهد معه في إصلاح سيرته وتجديد ذهنه .

والذبيحة لا يستطيع الخاطئ وضع يده عليها ،ذبيحة الجسد والدم لا يستطيع أحد أن يضع يده عليها إلا الكاهن فقط ولذلك نعترف للكاهن لكي يضع خطايانا على الذبيحة. والكاهن يعترف أيضًا لأنه هو يرفع الذبيحة لأجل الناس ولكن هو إذا اعترف يعترف كشخص وليس ككاهن. ولذلك يلزمه أب اعتراف لكي ينقل خطيئته فالكهنوت لأجل الآخر ليس لأجل نفسه. لذلك كلٍ له أب اعتراف من البطريرك حتى أصغر إنسان.

الكاهن كوكيل لله وكممثل للكنيسة يشهد على التوبة القلبية. الكاهن يستطيع أن يعرف هل هذا الشخص تائب أم لا؟ ولذلك يقول «من غفرتم خطاياه غفرت ومن أمسكتم خطاياه أمسكت». أمسكتم أي شعرتم أن هذا الشخص لا يستحق المغفرة فتمسك عليه خطيئته أي لا تأخذها لكي توضع على الذبيحة.

وفي ذلك يقول القديس باسيليوس الكبير في قوانينه الخاصة به : « **من اللازم الاعتراف بالخطايا لمن سُلم إليهم توزيع أسرار الله**».

٣ - حاجة الإنسان إلي مَن يشكو له .

أن الإنسان بطبيعته يحتاج إلي مَن يشكو له همومه ومتاعبه ويفضفض له بما في صدره فيستريح وينفس عن نفسه ويتلقي المشورة الحكيمة أو النصيحة المخلصة أو المشاطرة الوجدانية التي تريحه وتسعده، ويا حبذا لو كان هذا الإنسان الذي نشكو له متاعبنا هو كاهن أب اعتراف ومعلم ومرشد ومختبر وكاتم للأسرار وعنده روح الأبوة الحانية. وفي هذا يقول قداسة البابا شنودة الثالث: «**أن الأخطاء التي يقترفها الإنسان ويكتمها عن الناس تظل تعذبه في فكره، ويضيق بها صدره، ويشعر بحاجته إلي إنسان يقاسمه أسراره الصعبة حتي يخف حملها...ولكن الصديق مهما كان وفياً لا يمكن أن نأتمنه علي أسرارنا الخاصة ولا سيما الخاص منها والبشع والدنئ، كما لا نسلم من نقده... أما الكاهن فهو صديق حقيقي، ولا يشمئز من سماع خطاياك لأنه قد اعتاد علي سماعها ولا يمكنه البوح بها، وإلا قُطع من الكنيسة**»

ويضرب القديس نيلوس مثلاً شيقاً علي ما سبق قائلاً: « **إنك إذا رأيت سحابة دكناء مظلمة، تكون مملؤة ماء. فبمقدار ما تهطل من الماء تخف وتصير بيضاء مضيئة. هكذا الإنسان إذا كان مفعماً بالمشقات والتجارب فإنه يعيش حزيناً متململاً بهمومه. وبمقدار ما يطرح منها. بواسطة إخبار ذلك لرئيسه، وكشف أفكاره له، تخف أثقال قلبه ، ويزول حزنه وينقلب فرحاً مسروراً متعزياً بما ناله من رضي**»

٤- الاعتراف يبطل كبريائنا .

كثيرين طغوا بسبب كبرياء قلوبهم ، فحسبوا أنفسهم قادرين علي التمييز بلا اعتراف، فتسابقوا في ميادين الصوم والصلاة والسهر... لكنهم لم يعرفوا كيف يصلبون إرادتهم وكبرياء قلوبهم فهلكوا !! هذا بجانب الذين سقطوا وهم يحسبون أنفسهم يعملون صلاحاً، بسبب جهلهم وعدم طاعتهم، كشاول الذي حسب أن تقديمه للذبيحة يمكنه أن يرضي الله فنال لعنة لا بركة. فالاعتراف من بركاته انه يصلب الإرادة في الرب، ويعلم النفس الاتضاع وينزع عنها كبرياءها الخفي. إن الإقرار بالخطية والاعتراف بها هو علامة الإتضاع الحقيقي، ولا توبة مع الكبرياء. لأنه من المعروف أن ما يعوق الاعتراف بالخطية هو أحد أمرين إما الكبرياء أو الخجل. والقديس يوحنا الدرجي يقول في ذلك : «**لهذا كان يوحنا المعمدان يأمر الذين يأتون أن يعترفوا بخطاياهم قبل المعمودية، ليس لأنه كان يحتاج إلي ذلك، يفعل ذلك من أجل سلامتهم،** فالمعترف في الأكثر يستريح من القتال، وإن قوتل بعد الاعتراف، فالجهاد ضد النجاسة أفضل من جهاد العظمة». ويقول أيضاً القديس أغسطينوس: «الاتضاع يسير جنباً إلي جنب مع الاعتراف ، وهو الذي يدفعنا إلي الاعتراف بإننا خطاة ، ليس مجرد اعتراف باللسان هرباً من الكبرياء أو خوفاً من غضب الناس عندما يروننا ندعي البر ..أتريد أن يغفر الله لك ؟! اعترف فتستطيع القول أستر وجهك عن خطاياي»

٥- الاعتراف يفضح ألاعيب العدو. ويكشف لنا حقيقة خداعه.

وفي هذا يقول القديس موسي الأسود (**ك . مناظرات يوحنا كاسيان**) «**ليس هناك وسيلة أخري يسقط بها الشيطان الإنسان بقوة ويقوده إلي الموت، إلا بأن يجعله يحتقر تعاليم الآباء ويعتمد علي أفكاره وأحكامه... الفكر الخاطئ يضعف بمجرد كشفه... فبقوة الاعتراف ينسحب افعوان الدنس من كهفه المظلم المخفي. وأحياناً يظهر ويهرب مفتضحاً... فالأفكار الشيطانية يكون لها سلطان علينا بمقدار ما تختبئ في قلوبنا**» ورد في كتاب البستان خبر يقول فيه «**أخبروا عن أحد الإخوة انه تأذى من قتال شيطان التجديف وإنكار الخالق فمضى إلى أنبا بيمين ليكشف له أفكاره، ولما وصل إليه انصرف ولم يقل شيئًا ثم نظر وإذا قتال الشيطان له بهذا الفكر قد زاد فعاد إلى الشيخ ليخبره واستحى أن يكشف له أمره فانصرف ثانية ولم يقل له شيئًا وفعل هذا مرارًا كثيرة، وكان الحياء يحمله على كتمان أفكاره، فعلم الشيخ أن الأخ عليه قتال الحياء من أفكاره وأنه يستحى أن يكشفها له، ولما جاءه ولم يقل له شيئًا كالعادة قال له أنبا بيمين ما بك أيها الأخ تجئ إلى وتنصرف ولا تقل لي شيئًا ؟.** قال له الأخ: «**ما الذي يمكنني أن أقوله لك أيها الأب** «**فقال له الشيخ**» كأني أراك مقاتلا من أفكارك ولا تريد أن تكشفها لي لأنك تخشى أن اخبر بها غيري، وحقا أقول لك أنه كما أن الحائط لا يتكلم كذلك أنا ما اكشف لأحد أمرك، فوثق الأخ بهذا القول وقال للشيخ: «**إني في شدة وأخشى أن أهلك من التجديف فأن الشيطان يضيق**

على الخناق ويريد أن يوقعني بأنه ليس إله، وهذا فكر لا يسوغ لأحد أن يتحدث عنه ولا يقره أحد ولا يفكر فيه» فقال له الشيخ لا يغمك هذا الفكر يا بنى لأن القتالات الجسدانية إنما تأتي علينا من توانينا واسترخائنا، فأما هذا الفكر فلا يأتي من توان ولا من استرخاء لكن لمقاومة العدو لنا وحيله، فمتى خطر لك هذا الفكر فقم من ساعتك وصل وارشم نفسك بالصليب وقل في نفسك كأنك تخاطب الشيطان: **ملعون أنت وملعونة أفكارك وملعون تجديفك، هذا الفكر يكون على رأسك أيها الشيطان، فأما أنا فأقر وأؤمن أن الله كائن وهو المعتنى بالخليقة كلها وهذا الفكر ليس هو منى بل منك يا عدو البشر - فإذا أنت فعلت هذا فثق أن الله يرفع عنك هذا الحزن**» فانصرف الأخ من عند الشيخ وعمل مثل ما علمه، فلما رأى الشيطان أنه قد هزمه بتعليم الشيخ له انصرف عنه وعادت نعمة الله إليه. وفى البستان أيضًا خبر آخر أن راهبًا كان حريصا فتأذى من شيطان التجديف سنين طويلة وأجهد نفسه بالصوم والسهر ولم يجد منفعة البتة، حينئذ أخذ قرطاسا وكتب هذا الوجع وانطلق إلى أبيه ودفع إليه القرطاس ووقع على وجهه قدام الشيخ ولم يكن يستطيع أن يرفع نظره إليه، فلما قرأ الشيخ الكتاب ابتسم وأقام الأخ وقال له على عنقي يا ابني هذه الخطية وكل ما كان منها لا تكترث به، ومن أجل هذا حقق الأخ أنه قبل أن يخرج من قلاية ذلك الشيخ ارتفع عنه القتال. وذكر القديس برصونوفيوس في الغلبة على الشيطان والاتضاع قائلا:

«**إن نحن اتضعنا فإن الرب يطرد عنا الشيطان، لذلك يجب علينا أن نلوم أنفسنا في كل حين وفي كل أمر لأن هذه هي الغلبة**» وقال أحد الشيوخ: «**إن الشياطين يخفون شرهم وراءهم ونورهم آخره ظلام فلا تعمل شيئًا بدون مشورة الآباء العارفين بقتالهم**».

ذكر البستان أيضًا أن أخا من الرهبان قوتِل بالزنى فقام بالليل وذهب إلى الشيخ وكشف له سره وسأله أن يصلى من أجله فعزاه الشيخ وشجعه ولما رجع الأخ إلى قلايته اشتد عليه القتال فرجع ثانية إلى الشيخ وفعل ذلك مرارًا وكان الشيخ في كل مرة لا يحزنه ولكنه كان يكلمه بكلمة بما فيه منفعة نفسه قائلًا له: كلما قاتلك هذا الشيطان تعال واكشف أمره فإنه ليس شيء يبعد شيطان الزنا مثل أظهار أفكاره وأعماله وفضيحته، وليس شيء يفرحه غير كتمان ذلك، فتردد ذلك الأخ على الشيخ في تلك الليلة إحدى عشرة مرة وهو يكشف له أفكاره وأخيرًا قال: «**قل لي يا أبى كلمة**»، فقال له الشيخ: «**ثق يا ابني لو أن الله سمح أن يقع فكرى وقتالي عليك لما احتملت ولكنت سقطت بالأكثر إلى أسفل، فلما قال الشيخ هذا الكلام باتضاع كف الله القتال عن الأخ**». هذه الأخبار من البستان يظهر منها أن الفكر لا يتنقى لا بصوم ولا بصلاة ولا بسهر ولا بكل تعب الجسد فقط ولا يتنقى القلب بشيء إلا بالاعتراف، لأن الاعتراف -هو الاتضاع- يزيل كل ذلك، لان المعترف اتضاعًا يتضع وباتضاعه يهرب من الشيطان كما يقول داود في المزمور «**باتضاعنا ذكرنا الرب وخلصنا من أيدي أعدائنا**».

٦- الاعتراف يخلص من الحزن.

ذكر عن القديس دورثيئوس انه سأل مرة الشيخ أنبا يوحنا تلميذ أنبا برصونوفيوس وقال له: «**أن الكتاب يقول انه بأحزان كثيرة ينبغي أن ندخل إلى ملكوت السموات وها أنا أرى انه ليس لي شيء من الحزن، فماذا ينبغي لي أن أعمل لئلا تهلك نفسي فإنه ليس لي حزن ولا هم، وإذ كان يأتيني فكر كنت آخذ لوحا وأكتبه واعلم الشيخ به. فمن قبل أن يفرغ الشيخ من قراءته كنت أحس بالمنفعة، ويمثل هذا كان لي عدم الاهتمام والراحة والسلام، وما كنت اعرف كيف تخف عنى الهموم والأفكار هكذا، ولما كنت اسمع انه بأحزان كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت السموات كنت أفزع من أجل أنه ليس لي حزن، فلما كاشفت الشيخ بهذا الأمر أعلمني هكذا قائلاً لا تحزن لشيء لأن كل من سلم نفسه لطاعة معلمه والآباء فمثل هذا النياح وعدم الاهتمام يكون له بالرب**»

وقال أحد الآباء: إن الذي يقر بفكره الشرير يزيله منه الرب لوقته، ومن أجل هذه الفائدة أمر ربنا تلاميذه أن يكونوا للناس معلمين كما كان هو لهم المعلم الذي جاء إلى العالم، الذي حفظ تلاميذه من الشرير وكان إذا بذر الشيطان في قلب أحدهم فكرًا رديئًا كان من ساعته يبكتهم عليه حتى يعترفوا له، ويزيله من قلوبهم بتعليمه، كما فعل معهم حين تفكروا في قلوبهم من هو العظيم فيهم، وحين فكروا في السفينة انه ليس معهم خبز.. قال القديس مار اسحق:

«المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين كذلك الذي يقر بأوجاعه فهو قريب من البرء أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه».

٧- الاعتراف يفسد شكوي الشيطان ضدنا.

لا تقف قوة الاعتراف عند كشف ألاعيب الشيطان وكسر شوكته لكنه يلجم لسانه عن الوقوف أمام ربنا يسوع ليشتكي علينا... لأننا سبقناه واشتكينا ضعفنا له. وفي ذلك يقول القديس أغسطينوس «عندما تتهم نفسك لا يجد العدو فرصة يحتال بها ضدك أمام القاضي فان كنت تتهم نفسك، والرب مخلصك فماذا يكون العدو سوي مجرد محتال، بهذه يستطيع المسيحي أن يحصن نفسه ضد أعدائه، فبكونهم أعداء غير منظورين ينبغي مقاومتهم بطرق غير منظورة».

٨- الاعتراف يخلص من العادات الشريرة.

كان القديس الأنبا سرابيون يقول مرارًا كثيرة للذين كانوا يأتون إليه لما كنت تلميذًا في الرهبنة كنت أخفى بعض المأكول وآكله سرًا من أبى، فلما فعلت ذلك مدة من الزمان صرت مغلوبا لا استطيع أن أتخلى عن هذه العادة وكان ضميري يوبخني وكنت استحى أن أخبر الشيخ، فبتدبير من الله الرحوم جاء إخوة إلى الشيخ لطلب منفعة للنفس وسأله من أجل أفكارهم - فأجاب الشيخ وقال لا يوجد أمر يفرح به الشيطان أكثر من أن نخفى أفكارنا عن آبائنا الروحانيين، ثم كلمهم أيضًا من أجل الصوم، فلما سمعت كلامه حزنت على

ذاتي وندمت على سماجة فعلى وأخذني تخشع وصرت أبكي على نفسي وظننت أن الله قد أظهر للشيخ زلتي، فأخرجت ذلك الشيء الذي كنت أخفيه، وطرحت نفسي على الأرض وصرت أطلب منه المغفرة عما سبق من زلاتي وسألته الصلاة على، حينئذ قال لي الشيخ: «**يا بنى من غير ما أصلى لك قد عتقك إقرارك وصرت حرًا.. وقد ذبحت الآن الشيطان الذي كان يستعبدك لما أعطيته السلطان عليك بسوء رأيك وانخداعك له.. لكنه من الآن لن يجد فيك موضعًا لمسرته إذ قد أقصيته عنك بإقرارك**». فمع كلام الشيخ خرج فعل العدو عنى كمثل لهيب نار. وامتلأ البيت رائحة منتنة،، فقال لي الشيخ: «**هوذا بهذه العلامة التي ظهرت قد حقق الله كلامي وعتقك**» وهكذا بإقراري عتقني الله من قتال الحنجرة (**كثرة الأكل**). تبين مما سبق أن الذي يستحى أن يقر بسوء رأيه وفعله وفكره يصير عبدًا لإبليس مقهورًا منه لفعل الخطية، وأنه إذا اقر بها فلساعته يعتق منها، واتضح إذن إن الاعتراف يعتق الإنسان من قبر الخطية، وهذا ما ذكره السيد المسيح: «**إن الابن إذا عتقكم صرتم أحرارًا**».

فإذا قد اتضح أن الاعتراف هو عتق الابن الذي به يعتق من قد استعبد نفسه للشيطان بالخطية فلا تشك بعد الآن في الاعتراف وأيقن بكل يقينك أنه هو المعمودية المعتقة من كل الخطايا والمحررة من عبودية إبليس. علمنا من قول أنبا سرابيون أننا لن ننال «**الإفراز**» الحقيقي إذا لم نقبل رأى الآباء وتعليمهم، وعلمنا

أيضًا أن الشيطان لا يقدر أن يسقط الإنسان في شباكه إذا لم يقنعه قبل كل شيء أن يرفض تعاليم الآباء وإرشاداتهم ويقنع برأي نفسه ويتدبر بهواه الشخصي.

٩- الاعتراف يتوافق مع عدل اللّه.

عدل الله أن من يفعل خطية يجب أن ينال محاكمة وعقوبة علي خطيئته وإلا لما كان في حاجة لأن يتجسد ويُصلب من أجل خطايا البشر. والله لا يمكن أن يغير أحكامه لأنه هو هو أمس واليوم وإلي الأبد لذلك رسم سر الاعتراف لأنه ليس أقل من أن يحاكم الانسان نفسه أمام الأب الكاهن بدلاً من أن يُحاكم عنها في يوم الدينونة الرهيب. وفي ذلك يقول القديس الانبا ساويرس أسقف الاشمونين في القرن العاشر ما يأتي: «**ان ابن الله المصلوب عن خلاصنا دفع نفسه لكهنته بارادته عن خطايانا، حكموا عليه بالموت. وهو رضي وقبل حكمهم الذي لم يكن يستحقه، وبه خلصنا من الميتات الكثيرة التي نستحقها، وأمرنا نحن أن نطيعه، ونتشبه به في هذه الطاعة، ونُسلم أنفسنا لكهنتنا مثله بارادتنا عن خطايانا، ونحتمل ما يحكموا علينا به رغبة في الخلاص من الموت الواجب علينا ، حينئذٍ إذا نحن قبلنا ذلك الحكم اليسير الذي يحكمون علينا به - الذي لا يعادل الموت قط - حينئذٍ من أجل طاعتنا وإيماننا يرضي هو أن يموت ويهرق دمه، ويحتمل عنا كل موت واجب علينا**» (**ك . ذبيحة الاعتراف للقديس الأنبا ساويرس**).

شهادة أقوال الآباء عن سر التوبة والإعتراف

١ - القرن الأول الميلادي.

«أن صلوات القديسين تنفع جداً ، وكذا من تقدم إلي رجل بار واعترف له بأثامه فانه ينال صفحاً كأنه من الله ،وتتمحص خطاياه وينال المواهب الإلهية التي يحتاجها ،لأن ذلك شرع في الأحكام الإلهية أن يمنح الله المواهب ويعطيها بتوسط الآباء»

(القديس ديوناسيوس الأريوباغي تلميذ بولس الرسول)

«اعترف بخطاياك ولا تقدم علي الصلاة وأنت في سوء الضمير فهذا طريق الخلاص»

رسالة برنابا (كتابات الآباء الرسوليين)

«الأولى بالناس أن يعترفوا بآثامهم وخطاياهم من أن تتصلب قلوبهم.... مادمنا في هذا العالم فلنرجع بكل قلبنا عن الشرور التي صنعناها في الجسد ليخلصنا الرب ما دام لنا زمان للتوبة . فإذا خرجنا من العالم لم يبق لنا أن نعترف هناك أو نتوب»

(القديس أكليمنضس الروماني تلميذ بطرس الرسول)

٢- القرن الثاني الميلادي .

روي القديس ايريناؤس أن بعض أتباع فالنتينوس أفسدوا النساء اللواتي كن يتعلمن منهم هذا التعليم... وبعد رجوع النساء إلي بيعة الله اعترفن بهذا الاثم مع باقي ضلالهن... وروي أيضاً أن مرقس الساحر مكر بامرأة شماس ولما رجعت بقيت مدة حياتها لا تكف عن الاعتراف بالاثم الذي اقترفته ماحية بدموعها الوصمة التي أنزلها بها الساحر.

٣- الجيل الثالث .

« فليعترف كل منكم أيها الأخوة الأحباء بإثمه مادام في هذا العالم وما دام ممكناً قبول اعترافه وما دامت المغفرة بواسطة الكهنة مقبولة عند الله.... إن سلطان حل الخطاة أعطى للرسل والكنائس التي هم أسسوها إذ أرسلوا من اللّه، وللأساقفة الذين خلفوهم»

(القديس الشهيد كبريانوس «٢٠٠ – ٢٥٨م»)

«إن هؤلا قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلي ويطهروا ضمائرهم ،ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجروحهم الروحية ، ويستعطفوا الرب علي الإهانة التي أهانوا بها إيمانه العديم العيب كانوا يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه..فأطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم ما دمتم في الحياة الحاضرة ، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضي عند الله أيضاً»

(أيضاً القديس الشهيد كبريانوس)

« إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من الاعتراف سترة لهم ويؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض في الأعضاء المستحى منها فأخفى عن الأطباء مرضه فيباد بخجله.. فإذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل تخفى عن الله، وهل الأولى لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية من أن نحل وهي مكشوفة في التوبة».

(العلامة ترتليان «١٦٠ - ٢٤٠م»)

«كما أن من بقي فيهم الطعام غير مهضوم، أو تثقلت معدتهم بخلط أو بلغم ،إذا تقيأوا استراحوا.كذلك من أخطأوا. فإن أخفوا الإثم فيهم تضايقوا داخلاً، وخنقهم بلغم الخطيئة وخلطها. ولكن إن شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الإثم ونزول علة المرض كلها».

(أيضاً العلامة ترتليان «١٦٠ - ٢٤٠م»)

«يوجد ترك آخر للخطايا مكرب جداً وصعب وممكن الحصول عليه بالتوبة وذلك عندما يبل الخاطئ فراشه بدموعه وعندما تصير دموعه له خبزاً نهاراً وليلاً وعندما لا يخجل بأن يكشف خطيئته أمام كاهن الله طالباً منه الشفاء . أو عندما يقول بعد الخطية قد عرفت خطيتي ولم أخف اثمي. قلت اعترف للرب بذنبي».

«فإذا عملنا هكذا أو كشفنا خطايانا ليس لله فقط بل للذين يستطيعون أيضاً أن يشفوا جراحنا ومآثمنا تُمحي جهالاتنا من الله الذي قال :

قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك»

(العلامة أوريجانوس) تفسير اللاويين)

٤ - الجيل الرابع والخامس

«كما أن المعتمد من الكاهن يستنير بنعمة الروح القدس هكذا من يعترف بخطاياه بواسطة الكاهن يحظي بالغفران بنعمة المسيح»

(القديس أثناسيوس الرسولي «ضد النواتيين»)

«أن الزمان الحاضر زمان الاعتراف فاعترف بما ارتكبت قولاً وفعلاً ليلاً ونهاراً». (القديس كيرلس الكبير (تفسير يوحنا ٢٠ -٢٣)

«أن المتوشحين بالروح القدس يتركون الخطايا أو يمسكونها علي نوعين كما أري: إما بأنهم يدعون إلي المعمودية الذين اقتضي نوالهم إياها حسن سلوكهم وخبرتهم في الإيمان ،وإما بأنهم يمنعون البعض ويحجبونهم عن النعمة الإلهية ،لأنهم لم يصيروا بعد مستحقين لها .أو علي وجه آخر أيضاً يتركون الخطايا ويمسكونها ، وذلك إما بقصاصهم أبناء الكنيسة عندما يخطئون أو بمسامحتهم إياهم عندما يندمون»

(القديس كيرلس الأورشليمي)

«أن الاعتراف بالخطايا للمؤتمنين علي تدبير أسرار الله ضروري ،لأن الذين كانوا يندمون قديماً نري أنهم هكذا صنعوا نحو القديسين وقد كُتب في الإنجيل أنهم كانوا يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان . وفي أعمال الرسل أنهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعمدون منهم»

(القديس باسيليوس الكبير «قوانينه المختصرة»)

«لأن ساكني الأرض والقاطنين فيها قد سمح لهم أن يسوسوا ما في السموات وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء

الملائكة لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه علي الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه علي الأرض يكون محلولاً في السماء ، ثم أن للمتسلطين في الأرض سلطاناً أن يربطوا ولكنهم يربطون أجساداً فقط وأما هذا الرباط فأنه يمس النفس عينها ويجتاز السموات. وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق ويؤيد السيد رأي العبيد..... فلنتشبه نحن بالمرأة السامرية ولا نخجل من أن نعترف بخطايانا . لأن الذي يستحي أن يعترف بخطاياه لا يخلص.ففي ذلك اليوم ليس قدام واحد تشهر ،بل قدام المسكونة كلها»

(القديس يوحنا ذهبي الفم «٣٤٧-٤٠٧»)

«من يستطيع أن يترك الخطايا إلا الله وحده والذين أعطاهم هو هذا السلطان .....حقا أنه من المخجل أن يعترف الإنسان بخطاياه. ولكن هذا الخجل أشبه بعملية الحرث للأرض وإزالة العوسج منها ،وتنقيتها من الأشواك .وبهذا تظهر الثمار التي كانت تحسب عدماً» (القديس أمبروسيوس أسقف ميلان «٣٣٩-٢٩٧م»)

« أن البشر يتممون سر التوبة لغفران الخطايا من دون أن يكون لهم سلطان في ذلك باسمهم ، وإنما يتممونه بالاسم الممجد اسم الآب والابن والروح القدس . فهم يطلبون والله يعطي وعلي البشر الطاعة هنا ومن الله الهبة العظيمة» (أيضاً القديس أمبروسيوس)

«لا يقل أحد منا إني أخطئ سراً، إني اعترف أمام الله فهو يعرف قلبي فيعفو عني وإلا فيكون إذن قد قال تعالي عبثاً ما تحلونه علي الأرض يحل في السماء والمفاتيح لم تعط للكنيسة باطلاً»

(القديس أغسطينوس «٣٥٤-٤٣٠»)

«ليس المقصود أن يعترف الكهنة علي العلمانيين ،كما يعترف هؤلاء لهم . فإن هذه الجملة لا توجب دائماً المشاركة بين كل من الطرفين، أي لا يلزم منها اعتراف الكهنة للشعب، بل هي علي حد قولك: علمو بعضكم بعضاً، وعالجوا أحدكم الآخر، وليسعف الواحد منكم صاحبه، بمعني أن العالم يعلم الجاهل، والطبيب يعالج المريض، والقوي يشدد الضعيف. وقس علي ذلك. ومن هذا يتضح أن البعض الذي نعترف له هو كهنة الله الأمناء، الذين يدعوهم المريض لدهنه بالزيت، والدعاء له من الله»

(أيضاً القديس أغسطينوس)

«خذوا خادم الكنيسة شريكاً أميناً لكم في حزنكم، وأباً روحياً، واكشفوا له أسرار نفوسكم كما يكشف المريض جراحه الخفية للطبيب فتنالوا الشفاء»

(القديس غريغوريوس النيصي)

«من يكون في قتال ويطيع أفكار الشر ،ولا يفضح أفكاره ،ويكشفها أمام أبيه الروحي ،الذي يعرف صنعة الحروب المعقولة ، فأن شيطان الكبرياء يلتهمه في نهاية معركته ،ويطرحه من إيمان الحق»

(مار فيلوكسينوس أسقف منبج «٥٢٣م»)

«إذا كانت الحية قد أصابت أحداً في الخفية بلسعة... قد ادخلت فيه سم الخطيئة ،وكان هذا التاعس المسمم يصر علي عدم الإقرار بها وعدم عمل التوبة ، إذا كان يصر علي أن لا يكشف جرحه

للذي هو أخوه وسيده (أي الكاهن)، فالسيد الذي يقدر أن يشفيه بالكلمة لا يستطيع أن يفيده بسهولة . لما يخجل المريض من كشف جراحاته للطبيب يصبح الطبيب غير نافع، لأن الطبيب لا يشفي ما هو جاهل له»

(القديس ايرينيموس «٣٤٢-٤٢٠»)

شهادة طقس الكنيسة

يوجد في طقس كنيستنا كثير من التحاليل التي تدل على وجود سر التوبة والاعتراف من بين هذه التحاليل:

أ - تحليل الابن: وهو التحليل الكهنوتي الذي رتبته الكنيسة المقدسة بالروح القدس لحل التائبين والمتقدمين إلى التناول من المائدة الربانية. وفيه يقول الكاهن «**أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد وكلمة الله الآب ...أنت الآن يا سيدنا من قبل رسلك الاطهار أنعمت للذين يعملون في الكهنوت كل زمان في كنيستك المقدسة ان يغفروا الخطايا على الأرض ويربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم ..الخ**»

ب - سر اعتراف الشعب (سر الرجعة): يقال بعد بخور البولس والابركسيس حيث ينزل الكاهن من الهيكل ويبخر الشعب. في عودته إلى الهيكل يصلى صلاة خاصة يقول فيها «**يا الله الذي قَبِل إليه اعتراف اللص اليمين على الصليب المكرم اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم جميع خطاياهم من أجل اسمك القدوس الذي دُعى علينا ، كرحمتك يارب وليس كخطايانا**».

شهادة التاريخ لسر التوبة والإعتراف

أن التاريخ الكنسي يشهد بأن الاعتراف كان جارياً علي وجهين. أحدهما علني والآخر سري، وعلي كلا الوجهين كان غفران الخطايا يعطي من الكهنة وحدهم الذين لهم الحق في التصريح به. ومع الزمان تنازلت الكنيسة عن الاعتراف العلني رفقاً بأبنائها وحصرته في الاعتراف السري. ويمكننا أن نوجز الأدلة التاريخية فيما يأتي:-

١- خوارس الكنيسة:

من المعروف عن الكنيسة الأولي منذ القرنين الأول والثاني للميلاد كما تحدثنا المصادر الكنسية أنها كانت ترتب التائبين في أربعة خوارس تفصل بينها حواجز ما زالت قائمة إلي اليوم في الكنائس الأثرية القديمة وبالأديرة (صف الباكين-صف السامعين-صف الراكعين-صف المشاركين). وهذا التقسيم يدل علي أن الاعتراف بالخطيئة كان معمولاً به قديماً في الكنيسة، وإلا فمن ذا الذي يقوم بهذا التقسيم ؟ وكيف يتم بدون معرفة بخطايا المعترفين؟ وكيف كان يجري نقل التائبين من صف إلي صف إلا علي أساس متابعة كهنة الاعتراف لأحوالهم ومعرفة مدي تقدمهم وطاعتهم في تنفيذ التأديبات الكنسية التي كانت تفرض عليهم؟

٢- القديس ايريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

يتحدث عن بعض النساء اللواتي كن ساقطات في هرطقة الغنوسيين وكفرهم، لما رجعن إلي الكنيسة اعترفن بخطاياهن. وكيف أن أخريات لم يردن أن يدخلن في هذا الامتحان المقدس فسقطن في اليأس.(**ضد الهرطقات ١ :٦: ٣**)

٣- الدسقولية:

وهي تعليم الرسل نري وهي تتحدث إلي الأسقف تقول له «**يجب أن تعطي مغفرة لمن يتوب ... واعرف رتبتك يا أسقف. أنك كما نلت سلطاناً أن تربط،هكذا نلت سلطاناً أن تحل**»

٤ - كتاب «الديداكي»

وهو من كتابات الآباء الرسوليين ويرجع إلي القرون الأولي من المسيحية وعبارة عن مجموعة تعاليم الآباء الرسل نجد به هذا التعليم «**اعترف بزلاتك في الكنيسة ولا تقرب صلاتك بضمير شرير**». (**فصل ٤**). ومكتوب أيضاً «**في يوم الرب اجتمعوا معاً لتكسروا الخبز وتشكروا ، لكن أولاً اعترفوا بخطاياكم لكي تكون ذبيحتكم طاهرة**» (**فصل ١٤**)

٥ - رسالة برنابا

وهي من كتابات الآباء الرسوليين ومن الرسائل المعترف بها كنسياً قد جاء بها «**لا تكن سبباً للشقاق. وطد السلامة بين المتخاصمين. اعترف بخطاياك. لا تذهب إلي الصلاة بضمير شرير.هذا هو طريق النور**» (**١٩: ١٢**)

٦ - القديس أكليمنضس الروماني

يقول في رسالته المشهورة إلي أهل كورنثوس وهي تعد من كتابات الآباء الرسوليين «**أيها الأخوة إن معلم المسكونة مجرد من المنافع. إنه لا يطلب شيئاً من أحد إلا الاعتراف بخطاياه.... من الأفضل أن يعترف الرجل بخطاياه من أن يقسي قلبه. كما تقسي قلب الذين ثاروا ضد موسي خادم الله. وكان العقاب مثيراً ،أنهم نزلوا أحياء إلي الجحيم، فرعاهم الموت**»

٧- مجمع اللاذقية (٣٤١م)

جاء به «**الذين وقعوا في زلات مختلفة وواظبوا علي صلوات الاعتراف والتوبة بعد أن تحرروا من خطاياهم.يجب قبولهم ثانية في الشركة بعد قضائهم زمن التوبة**» (**قانون رقم ٢**).

٨ - مجمع قرطاجنة

جاء بقوانين مجمع قرطاجنة المحلي المنعقد سنة ٣٩٧م «**ليعين زمن التوبة للتائبين برأي الأسقف حسب اختلاف الخطايا**» (**قانون ٤٦**).

٩- قوانين القديس باسيليوس الكبير

جاء بها «**إذا سقط واحد في خطيئة ويعترف بها وأنه متألم القلب، فليعن وليداوي من كبير الاكليروس أو من الأسقف، ويتعلم أن يتحفظ منها ويحزن علي خطاياه الأولي**» (**قانون رقم ٩٣**)

١٠ - يوسابيوس القيصري(٢٦٠ - ٣٤٠)

وهو صاحب كتاب تاريخ الكنيسة حيث يقول فيه « **كان تلاميذ مخلصنا أشداء يتركون في نفوس سامعيهم مناخس تدخل تعاليمهم في صميم أفئدتهم حتي يبرزوا الخفايا من مطاميرها ويعترفوا جهاراً بقبائح سيرتهم الماضية**» كما روي في كتابه أيضاً أن القديس فانيانوس منع الامبراطور فيليب وكان مسيحيا عن التقدم إلي الأسرار قبل أن يعترف بآثامه وينضم إلي من سقطوا ودخلوا مصاف التائبين (**تاريخ الكنيسة ليوسابيوس فصل٦**).

وروي أيضاً أن سرابيون لما غلبه الاضطهاد أي ممن أنكروا الإيمان تحت نير العذابات ودنا من الموت دعا قساً ليمنحه احسان المصالحة.

شهادة آباء الرهبنة الأوائل لسر التوبة والأعتراف

أولاً : قصص مشهورة

القصة االمشهورة في بستان الرهبان عن القديس الانبا مقاريوس الكبير والراهب الذي يُدعي «ثيؤمبيستوس» وكيف كان خاضعاً للشيطان ولأفكاره الشريرة وكيف استطاع القديس الانبا مقاريوس سحبه إلي الاعتراف والتوبة . وكذلك في البستان أيضاً... القصة المشهورة عن توبة القديس موسي الأسود واعترافه أمام الآباء الشيوخ وكيف ظهر اللوح المكتوب عليه خطايا القديس حيث كانت تُمسح من عليه كل خطية كان يعترف بها .

ثانياً : أمثلة جميلة .

١- «**لقد ابتلي إنسان بمرض، فاستدعي الطبيب لينظر فيه، فوصف له الطبيب الدواء الملائم فشفي. ثم بعد مدة مرض الرجل بنفس المرض، وإذ كان عارفاً بالدواء الأول الذي استفاد منه، استغني عن الطبيب. وأخذ يستعمل الدواء الأول من ذاته، فلم يبرأ من**

مرضه كالمرة السابقة فتعجب من ذلك واستدعي الطبيب وأخبره بما جري له وسأله عن السبب في شفائه في المرة الأولي وعدم شفائه في المرة الثانية... فأجابه الطبيب بحكمة قائلاً: إن السبب في عدم فائدته لك هو إنني لم أناولك إياه . هذا ما نقوله نحن في هذا الصدد، فإنك وإن عرفت العلاج جيداً وسمعت عنه مرات، لكنه لا يفيدك ما لم يعطه إياك رئيسك أو أبوك الذي هو الطبيب الروحي، لأنه الدواء الذي تأخذه من يد الطبيب له قوة خاصة وخصائص مؤثرة» (القديس أغسطينوس)

٢- «البيض الذي يُدفن في الزبل ينمو جنينه، كذلك الأفكار التي لا تظهر تخرج إلي حين الفعل بمعني أن الأفكار الرديئة التي تُخزن في القلب ولا تُكشف لمن يمكنه شفاءها، تحيا عن طريق العادة وتكمل الفعل» (القديس يوحنا الدرجي)

٣ - «تثبت التجربة طالما هي مختفية في القلب فمتي كُشفت زالت من قبل أن يجيب عليها الرئيس بشئ. فكما أن الحية الكامنة في وكرها أو تحت حجر متي كُشفت عنها هربت بسرعة... فمتي رفعت حجراً من مكانه هرب ما تحته من هوام وحشرات إذ لا يمكنها البقاء لظهور النور، هكذا إبليس الحية القديمة متي كشفت عنه ولي هارباً لأنه أب الظلام ولا يستطيع احتمال النور،

وإذ هو متكبر فانه متي أشهر خداعه ومكره الدفين يغتاظ كثيراً ويولي هارباً بسبب كبريائه» (القديس يوحنا كاسيان)

٤- «إن الإفراز الحقيقي لا يكون إلا من الاتضاع والاتضاع هو أن نكشف لأب الاعتراف أفكارنا وأعمالنا، ولا نثق برأينا بل نستشير الشيوخ المجربين الذين نالوا نعمة الإفراز، ونعمل بكل ما يشيرون به علينا، وكما أن الحية إذا خرجت من موضع مظلم إلى ضوء تهرب بسرعة كذلك الأفكار الرديئة إذا كشفت تُبطل من أجل فضيلة الاتضاع، وإذا كانت الصناعات التي نبصرها بعيوننا ونسمعها بأذننا ونعملها بأيدينا لا نقدر أن نمارسها بذواتنا إن لم نتعلمها أولا من معلميها - أفليست إذن جهالة وحماقة من يريد أن يمارس الصناعة الروحية الغير المرئية بغير معلم؟ مع العلم بأنها أكثر خفاء من جميع الصنائع والخطأ فيها أعظم خسارة من كل ما عداها..» (أحد الشيوخ).

٥ - «كما أن الماء إذا سلط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته، كذلك أيضا التوبة التي وهبها لنا الرب يسوع تغسل جميع الخطايا والأوجاع والشهوات التي للنفس والجسد معًا»

(القديس مكاريوس الكبير)

ثالثاً: أقوال عظيمة.

إننا نجد كثيراً من أقوال الآباء الرهبان في القرون الخمسة الأولي

من الميلاد تحث علي الاعتراف علي يد الآباء الشيوخ وضرورة ذلك لحياتهم الروحية ومن بين تلك الأقوال ما يأتي : -

«لا تحتفظ بخطيئتك التي صنعتها لأن أفضل ما يقتنيه الإنسان هو أن يقر بخطاياه قدام الله ويلوم نفسه» القديس الأنبا أنطونيوس

«من يتذكر خطاياه ويقر بها لا يخطئ كثيراً أما الذي لا يتذكر خطاياه ولا يقر بها فانه يهلك بها»

« صيانة الإنسان أن يقر بأفكاره ومن يكتمها يثيرها عليه. أما الذي يقر بها فقد طرحها عنه» (الانبا موسي الأسود (القرن الرابع)

«إن سألك شيخ عن أفكارك فأكشفها له بصراحة ، متي تأكدت أن له أمانة ويحفظ كلامك . ولا تنظر إلي كبر السن بل اعتمد علي من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية ، لئلا يزيدك سُقماً بدلاً من أن يهبك الشفاء».

إن أخطأت في أمر فلا تستح وتكذب بل اسرع وأقر بخطاياك فيغفر لك.... من كتم خطاياه عن أب اعترافه فقد دل علي كبرياؤه، وقد ملك عليه العدو أما الذي يقر بخطاياه فيستريح....كل فكر يحاربك اكشفه لمن هو أكبر منك روحانية، واعلم إنه لا شئ يُفرح الشيطان مثل إنسان يخفي أفكاره الرديئة أو الجيدة

(الأنبا اشعياء الاسقيطي(القرن الرابع) في تعاليمه للمبتدئين)

« المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين . كذلك الذي يقر بأوجاعه فهو قريب من البرء. أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه، والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه»

(القديس مار اسحق السرياني)

« لا تكتم أفكارك الشريرة وخطاياك القديمة ، فإن وجد الشيطان فيك هوي واحداً مكتوماً ،ففيه يطرحك ، لأن الشيطان ليست له قوة أن يجر إنساناً إلي فعل الخطية ، ولكنه إذا أبصر هواه مائلاً إلي شئ من الخطية ، ففيه يطرحه ، فإن رآه متحفظاً في أموره كلها، ويطيع لما يُشار عليه، فلا يقوي عليه في شئ بالجملة»

(أحد الشيوخ).

« إن الذي يكون معه قتال ويطيع أفكار الشر ، ولا يفضح ويكشف أمام أبيه الروحي الذي يعرف صنعة الحروب المعقولة ، فان شيطان الكبرياء يستلمه في نهاية معركته ويطرحه من إيمان الحق» (مار فلكسينوس)

«لا تطع عدوك بل اخبر أباك بجميعها حتي بأحلام الليل ، ولا تخف عنه شيئاً من أفكارك إن كنت مطيعاً له في كل شئ من أجل الله ومؤمناً انه يُحاسب عنك لطاعتك له . وأما ما تخفيه فسوف تُحاسب أنت عنه كله» (تلميذ الأنبا بفنوتيوس «القرن الرابع»)

شهادة مؤسسي الطوائف

١ - مارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦م)

(ألماني ، وهو قائد حركة الاحتجاج - ويسميها المحتجون بحركة الإصلاح - حينما احتج على بابا روما ليو العاشر سنة ١٥١٧ بسبب صكوك الغفران).

يقول في كتاب تعليم الدين المسيحي المختصر (ويعتبر من أهم كتاباته وهو عن طريق السؤال والجواب) في الفصل الخامس عن الاعتراف:

« للاعتراف جزءان أولهما أن يقر الشخص بخطاياه وثانيهما أن يتلقى المعترف الحل من المعرف confessor (الشخص الذي يتلقى الاعتراف) كما من الله نفسه بدون شك في ذلك و باعتقاد راسخ أن الله قد غفر خطاياه من خلال المعرف».

ويقول أيضاً « حينما نتحدث مع الله يجب أن نذكر مع الشعور بالخزي والذنب جميع خطايانا، حتى التي لا نعلم عنها شيئاً تماماً على أننا أخطأنا فى حق أبانا السماوى، ولكن حينما نجلس مع المعرف (أب الاعتراف) نذكر الخطايا التي فعلناها بإرادتنا والتي نشعر بها في قلوبنا».

ويقول لوثر أيضا: « إني أعتبر الاعتراف الشخصي شيئاً ثمينا جداً ونافعاً للصحة الروحية. في الحقيقة من المؤلم جداً لكل المسيحيين إذا لم يكن هناك اعتراف خاص ويجب أن يشكروا الله بكل قلوبهم أن الاعتراف مسموح ومتاح لهم»

(تاريخ الكنيسة، الدكتور القس جون لوريمر، ترجمة عزرا مرجان، الجزء الرابع ، دار الثقافة، ١٩٩٠، صفحة ١٣٦).

ويقول أيضاً: « **من الممكن أن يكون للتوبة صفة سر من الأسرار المقدسة لكنني أبكي على انتهاك الكنيسة** (المقصود الكنيسة الكاثوليكية حينما باعت مغفرة الخطايا بصكوك للغفران، وأفشت بعض أسرار المعترفين) **لهذا السر** (لاحظ إقراره بأن التوبة سر)» (المرجع السابق صفحة ١٢٤ ، ١٢٥).

٢ - جون كلفن (١٥٠٩ -١٥٦٤م):

(**من مواليد فرنسا ، عاش في سويسرا، وقاد هناك أحد تيارات الاحتجاج**) يقول عن الأسرار :بماذا نعرف أننا أعضاء في جسد المسيح؟ بالاعتراف جهاراً بالإيمان والحياة المستقيمة والشركة في الأسرار المقدسة التي توحدنا في معرفة الله والمسيح.

يقول أيضاً: « **يكون الاعتراف خاصاً لله وحده، أو لرعاة الكنيسة اختياريا بهدف الراحة والشعور بتأنيب الضمير، أو عاماً أمام الكنيسة كلها**» (المرجع السابق ، الكتاب الثالث ، فقرة ٤٨).

وقد جاء في كتاب نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ما نصه «**الكنائس اللوثرية والأسقفية تستحسن الاعتراف السري للراعي في بعض الأحوال**» (**ج ١ ححيفة ١١٧**).

وجاء في كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية ما نصه « **يحس القس المريض علي الإقرار بخطاياه وبعد الإقرار يحله القس علي هذا الوجه : ربنا يسوع المسيح الذي ترك لكنيسته سلطاناً علي أن يحلوا جميع التائبين المؤمنين به حقاً ، ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة .وأنا بسلطانه الذي فوض إلي أحلك من جميع خطاياك باسم الآب والابن والروح القدس أمين**» (**صحيفة ٢٧٩**) ولدينا العشرات من كتابات البروتستانت وقوانينهم التي تستحسن سر الاعتراف وتوافق على الاعتراف السري على يد الراعي بشرط عدم إفشاء أسرار المعترفين أو استغلالها أو أن تكون في مقابل مادي. (**وكنيستنا الأرثوذكسية تعلم بعدم إفشاء أسرار المعترفين أو استغلالها**).

الفرق بيننا وبين الطوائف الأخرى

هناك اختلاف بيننا وبين البروتستانت في موضوع التوبة. البروتستانت دائمًا يتكلمون عن توبة الحياة وهو ما تفعله المعمودية عندنا أن الإنسان يعيش في الخطأ ثم يصحح نفسه، وطالما يتكلم عن توبة الحياة فيقول «أنا بقيت قديس. كنت وأصبحت»!. لكن نحن كأرثوذكس نتكلم دائمًا عن حياة التوبة. أي التوبة اليومية إصلاح الفكر الخاطئ والاتجاه والضعفات اليومية ومحاسبة الإنسان لنفسه. الاختلاف بيننا وبين البروتستانت اختلاف

مهم جدًا في جوهر التوبة. تقرير الإنسان أن يحيا مع الله لا يمنع من الضعفات اليومية، ولذلك ليس معنى أن الإنسان قدم توبة الحياة إنه ليس محتاج لحياة التوبة لابد أن نحتاج لحياة التوبة. ولذلك نسمى التوبة والاعتراف معمودية ثانية دائمة تفيد الإنسان في حياته مع الله. إذا تعمد الإنسان وهو كبير فهذه توبة الحياة وإذا تعمد وهو صغير وسلك في الخطية وقرر أن يحيا مع الله هذه توبة الحياة لكن هذا لا يغنى عن حياة التوبة ومتابعة الإنسان لنفسه كل يوم بل كل لحظة.

يقول قداسة البابا شنودة الثالث في كتاب اللاهوت المقارن الجزء الرابع ما يأتي : -

الكل ينادي بالتوبة . لا يجادل في أهميتها أحد. ولكن التوبة عند الأرثوذكس شيء، وعند الطوائف الأخرى شيء مختلف تماماً، من جهة ماهيتها، ومفعولها، وإتمامها، ولزومها للخلاص، وما يتعلق بها من أمور أخري. وسنتناول الآن هذه الخلافات واحداً فواحدا:

١ - التوبة ســـــر :

التوبة في المفهوم الأرثوذكسي هي سر من أسرار الكنيسة السبعة اسمه سر التوبة { **أما الطوائف البروتستانتية - وهي لا تؤمن بأسرار الكنيسة - فلا تنظر إلي التوبة كسر مقدس . وهناك إذن فرق بين «التوبة» و «سر التوبة»**}.

ولهذا الفارق دلالاته ونتائجه اللاهوتية . فما هي ؟

٢- التوبة والاعتراف :

في المفهوم الأرثوذكسي، يمثل الاعتراف بالخطية جزءاً أساسيا من سر التوبة . ونقصد به الاعتراف علي الأب الكاهن { **من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم** }{**أم٢٨:١٣**}.

وقد مارس الناس الإقرار بالخطية { **الاعتراف بها** } في العهد القديم { **فإن كان يذنب في شئ من هذه ، يقر بما قد أخطأ به ويأتي إلي الرب بذبيحة لاثمه** }{**لا٥:٥**}، والكتاب مملوء بأمثلة من الاعتراف، واستمر الأمر إلي آخر نبي في العهد القديم، أو فترة ما بين العهدين، يوحنا المعمدان، والذي أتاه الناس من كل موضع { **واعتمدوا منه في الأردن ، معترفين بخطاياهم** }{**مت٣:٦**}.

وفي العهد الجديد ، مارسوا الاعتراف بالخطية أيضاً .. { **وكان كثيرون من الذين آمنوا ، يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم** }{**أع١٩:١٨**} { **واعترفوا بعضكم علي بعض بالزلات** }{**يع٥:١٦**}. أما الطوائف البروتستانتية فلا تعتقد بالاعتراف ، ولا تدخله ضمن نطاق التوبة.

٣- التــوبــة والكنيسة :

حقا أن التوبة عمل داخل القلب، يشمل الندم وتبكيت الضمير والعزم علي ترك الخطية وتركها بالفعل، قلباً وعملاً. ولكن التوبة تتم داخل الكنيسة بالاعتراف والتحليل ...

من جهة الخاطئ، والاعتراف بالخطية ومن جهة الكاهن، قراءة

التحليل ومنح المغفرة { **اقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت** }{**يو٢٠: ٢٢،٢٣**}.

ويتبع هذا أيضاً الإرشاد الذي يتلقاه التائب من أبيه الروحي ، لكي ما يثبت في توبته. أما الطوائف البروتستانتية ، فتقدم توبة منفصلة تماما عن الكنيسة ، مجرد عمل فردي لا علاقة له بالكهنوت. لأن البروتستانتية لا تؤمن بالكهنوت إنما تؤمن بعلاقة مباشرة مع الله.

والطوائف البروتستانتية في هذا الأمر علي نوعين:

١) نوع يهاجم الاعتراف والكهنوت علناً. وهو النوع الأضعف لأنه مكشوف، يحترس منه الثابتون في العقيدة، كما أن آراء ظاهرة يمكن الرد عليها .

٢) النوع الثاني لا يهاجم الاعتراف و لا الكهنوت ولا التناول ، لكنه يريد أن ينسي الناس هذه الأسرار، بعدم الحديث عنها، وبتقديم بديل لها ، كأن يقول: أنت محتاج إلي التوبة، والرجوع إلي الله. اذهب إليه اطرح نفسك عند قدميه، اترك خطاياك عنده ليمحوها بدمه، وتخرج في الحال مبرراً. كأن لم يخطئ من قبل. يغسلك فتبيض أكثر من الثلج ...

وفي كل هذا، لا يتحدث عن أهمية الاعتراف والتحليل والتناول، يتركها لينساها الناس. وفي نفس الوقت يرون أمامهم كلاماً روحياً ، فينخدعون به ، وما أكثر البسطاء، إنه طريق غير مكشوف، وواجبنا أن نكشفه للناس .

٤- التوبة والخلاص :

كثير من البروتستانت يحاولون أن يبعدوا التوبة عن موضوع الخلاص، في تركيزهم علي دم المسيح، قائلين للناس، أنتم تخلصون بدم المسيح، وليس بالتوبة. فالتوبة عمل من الأعمال وأنتم لا تخلصون بالأعمال. ونحن لا ننكر أن الخلاص يتم بدم المسيح. ولكن المسيح نفسه يعلمنا أنه لا خلاص بلا توبة. ويقول في ذلك { **إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون** }{**لو١٣:٣**}.

إن التوبة لازمة للخلاص أنه لا يوجد أحد لا يخطئ، ومادامت هناك خطية فللخطية عقوبة، وأجرة الخطية موت. ولا خلاص من هذا الموت إلا بالتوبة. التوبة تجعلنا مستحقين لدم المسيح. وإن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون.

٥- التوبة وعمل النعمة :

تري كثير من الطوائف البروتستانتية أن التوبة هي عمل من أعمال النعمة، وإن كل مجهودات الإنسان لا قيمة لها. يكفي أن يلقي الإنسان نفسه تحت قدمي المسيح فيخلصه من خطاياه.

والتعليم الأرثوذكسي يري أن كل حياة الإنسان الروحية هي شركة بين الإنسان والروح القدس. الروح القدس يعين، ولكن الإنسان لابد أن يجاهد. وإن لم يجاهد يبكته الرسول بقوله { **لم تقاوموا بعد حتي الدم مجاهدين ضد الخطية** }{**عب١٢:٤**}.

والكتاب يصور الحياة الروحية حربا إلي سلاح الله الكامل إنها

{ **مصارعة ليست من لحم ودم ، بل مع أجناد الشر الروحية** } {**أف٦**}، وهذه الحروب تحتاج بلا شك أن يقاتل الإنسان وينتصر... هذا القتال، هو ما عناه السيد المسيح في رسالته إلي ملائكة الكنائس السبع بقوله { **من يغلب فسأعطيه** }{**رؤ٢:٣**}. إن النعمة لا تعمل كل شئ ـ وإلا ما كان الله يقول {**ارجعوا إلي أرجع إليكم**}.

٦- التوبة والاختبارات :

الفكر البروتستانتي يعتبر التوبة اختباراً ، ويشجع أن يحكوا للناس عن اختباراتهم ، فيسمع منهم عبارة { **أنا كنت كذا** } (**وصرت الآن كذا**) ويظل يحكي عن خطاياه القديمة أمام الكل بلا خجل، مغطيا إياها بما وصل إليه من نعمة! وإن صمت يقولون له { **احكي اختباراتك** }.

أما الأرثوذكسية فتمنع هذه القصص لأنها غالباً ما تحمل افتخاراً بالتغير الذي وصل إليه التائب .....

٧- التوبة بين الفرح والانسحاق :

تميل الأرثوذكسية إلي انسحاق نفس التائب، متذكراً ما أساء به إلي الله، مبللاً فراشة بدموعه كما فعل داود النبي.. أما البروتستانتية فتدعو الناس إلي الفرح الذي لا انسحاق فيه. بل كثيراً ما يتحول التائب حديثا إلي خادم، بطريقة مباشرة، لا تعطيه فرصة للحزن الداخلي علي خطاياه. ويعللون ذلك بأنه يجب أن يفرح بالخلاص..

وردنا علي ذلك أنه في تناول خروف الفصح – وسط فرح الشعب بنجاته من سيف الملاك المهلك، كان يأكل الفصح علي أعشاب مرة حسب أمر الرب {**خر١٢:٨**}.

والأعشاب المرة كانت تذكرهم بخطاياهم، التي بسببها وقعوا في عبودية فرعون.. حقاً إن أكل الفصح يذكرهم بالخلاص وبهجته، ولكن الفصح يجب أن يؤكل علي أعشاب مرة. ما هو مركز { **الأعشاب المرة** } في التوبة بالمفهوم البروتستانتي ؟!

إن أحد الكتب البروتستانتية هاجم حتي مجرد عبارة { **يا رب ارحم**} التي نقولها في صلواتنا، كما هاجم كل عبارات الانسحاق ، واتهمها بأنها ضد { **بهجة الخلاص** }!

٨- التوبة والتجديد :

إن ما نسميه في الأرثوذكسية { توبة } كثيرا ما يسميه البروتستانت تجديدا ، أو ولادة جديدة أو خلاصاً .. فيسألون بعضهم بعضاً { **هل تجددت؟ هل خلصت؟ هل اختبرت الولادة الجديدة!** } .

ويكون كل ما يقصدونه هو عملية توبة، لا أكثر ولا أقل. مر بها هذا الشخص ...

في المفهوم الأرثوذكسي، كل هذه التعبيرات: التجديد، الولادة الجديدة، الخلاص، تتم في سر المعمودية. أما التوبة فهي عملية تغيير في سلوك الإنسان.

٩- التوبة تسبق الأسرار :

إنها تسبق سر المعمودية ، كما قال بطرس الرسول { **توبوا وليعتمد كل واحد منكم** } { **أع٢:٣٨** }. وهي تسبق التناول كما قال معلمنا بولس الرسول { **١كو١١: ٢٧-٢٩** }. وهي تسبق سر مسحة المرضي { **يع٥: ١٤-١٥** }. وهكذا باقي الأسرار مادامت الأسرار نعماً من الروح القدس، ينبغي إذن التمهيد لها بنقاوة القلب بالتوبة.. أما البروتستانت، فإذ لا يؤمنون بأسرار ، ولا بالتوبة كَسِر فهذا الكلام كله خارج عن مفاهيمهم .

١٠ - التوبة – السلوك ، والأعمال :

البروتستانت لا يرون الحياة المسيحية حياة سلوك وعمل، بل هي حياة نعمة وإيمان، والأرثوذكسية يهمها الإيمان والنعمة، ولكنها تنادي مع الرسول { **بأعمال تليق بالتوبة** } { **مت٣:٨** }. وتري أن السلوك المسيحي، ولازم للخلاص. فإن كان البروتستانت يصرون علي أهمية الدم لتطهير الإنسان، فإننا نضع أمامهم قول يوحنا الرسول { **في علاقة السلوك بالدم** }{ **ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع ابنه يطهرنا من كل خطية** } {**١يو١: ٧**}... وهذا وضع السلوك كشرط. لا تطهير بالدم بدون التوبة. التوبة شرط أساسي.

نقاط الخلاف بيننا وبين الكاثوليك بخصوص سر التوبة والاعتراف

الكنيسة الكاثوليكية تعفي من الاعتراف ببعض الخطايا التي يمكن أن تسبب فضيحة أو يمكنها أن تسبب عثرة للكاهن المتبتل. فقد جاء في ك. مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم «٥٦٧ ، ٥٦٨» أن العجز يعفي من واجب الاعتراف بجميع الخطايا المميتة.... وهو أدبي فيمن يسبب له الاعتراف مشقات غير مألوفة... أولاً خطر إفشاء سر الاعتراف.. ثانياً خطر الفضيحة.. ثالثاً خطر العثرة أو خطر ارتكاب الخطيئة وهو خطر قد يتعرض له التائب أو الكاهن بسبب اعترافه بخطايا ضد الوصية السادسة «**لا تزن**».

وللرد علي هذا الاختلاف نجد أن كنيستنا الأرثوذكسية تضمن تماماً سرية الاعترافات لأنها وضعت عقاباً صارماً للكاهن الذي يفشي الاعترافات إذ تجرده من رتبته أما الخوف من اعثار الكاهن فهذا مرجعه إلي إصرار الكنيسة الكاثوليكية علي منع كهنتها من الزواج . الكنيسة الكاثوليكية تعطي الكاهن الهرطوقي أو المنشق سلطان منح الحل في بعض الظروف. فقد جاء في ك. مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم ٥٧٩ (**لكل كاهن وإن كان غير مصرح له في سماع الاعترافات أن يحل حلاً صحيحاً وجائزاً... جميع المتقلبين في خطر الموت من جميع خطاياهم ومن جميع**

التأديبات حتى المحفوظة والمشتهرة منها.. وتشمل لفظة كل كاهن من كانت رسامته صحيحة وإن كان واقعاً في عجز أو تأديب أو جاحداً أو منشقاً أو هرطوقياً).

وللرد علي هذه النقطة نقول كيف يصح هذا والكاهن الهرطوقي نفسه مربوطاً بخطاياه ولا يملك أن يحل نفسه فكيف يحل الآخرين. أن الكاهن الهرطوقي قد فقد صلاحيته تماماً .

أوصت الكنيسة الكاثوليكية الكاهن بمنح الحل للشخص الهرطوقي عندما يشرف علي الموت حتي ولو كان مقتنعاً بضلاله فقد جاء في ك . مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم ٥٥٨ «**لك (أيها الكاهن) أن تحل هرطوقياً أو متقلباً في خطر الموت، علي أن يكون سليم النية، وأن يتعذر اقتناعه بأنه علي ضلال ...**»,

وللرد علي هذه النقطة نقول كيف ينال الحل من لم يتوب عن خطاياه. الكنيسة الكاثوليكية تعتنق الفكر البروتستانتي بأنه يمكن للإنسان الخاطئ أن يعترف لله مباشرة. فقد جاء في ك. الشرع الكنسي للارشمندريت حنانيا الياس كساب نقلاً عن أحد المؤرخين الموثوق فيهم «**قد ساد بين الكاثوليك في القرون الوسطي رأي بأن الاعتراف لله وحده كافي** «**وجاء في القانون ٣٣ لمجمع تشالون عام ٨١٨ م ص٧٥**» **أن البعض يؤكدون أننا يجب أن نعترف بخطايانا لله وحده وآخرون يقولون أنه يجب أن يعترفوا للكاهن وإتباع أياً من الأسلوبين. لا يخلو من فائدة عظيمة في الكنيسة المقدسة**

فالاعتراف يطهر الخطايا ولكن الاعتراف أمام الكاهن يعلمنا كيف يجب أن نتطهر من خطايانا»

وهذا الفكر هو نفسه فكر البروتستانت الذين ينكرون الكهنوت والأسرار الكنسية. عند الكاثوليك للرئيس الأعلي احتكار الحل لبعض الخطايا فقد جاء في ك. مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم «٥٨٣ - ٨٩٧» حفظ الخطايا هو أن يختص الرئيس الصالح بالحل منها ،فلا يستطيع من هو أدني منه هذا الحل....وللرئيس المذكور أن يحتفظ بثلاث أو أربع من أفظع وأخطر الخطايا الخارجية المعينة في نوعها.

بالطبع لا يوجد لهذا التصرف سند لا من الكتاب المقدس ولا من التقليد ولا من أقوال الآباء.

الله قادر أن يعطينا جميعاً توبة حقيقية بها ننال مغفرة خطايانا لنكون قديسين ويلا لومٍ لنصل إلى ملكوت السموات الذى نسعى إليه جميعاً. ولإلهنا كل مجد وكرامه الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين

ا لفـهـرس

	الصفحة
+ تعريف السر	٥
+ عناصر الأعتراف الصحيحة	١٠
+ مظاهر التوبة الحقيقية	١٦
+ عوامل تساعدنا على سر التوبة والأعتراف	٢١
+ شروط أب الأعتراف	٣٠
+ أهداف السر	٣٢
+ نتائج سر التوبة	٤٣
+ طقس سر الأعتراف	٤٦
+ الشواهد الكتابية لسر التوبة والأعتراف	٥٢
+ الأدلة المنطقية لسر التوبة والأعتراف	٧٣
+ شهادة أقوال الأباء عن سر التوبة والأعتراف	٨٥
+ شهادة طقس الكنيسة عن سر التوبة والأعتراف	٩٢
+ شهادة التاريخ لسر التوبة والأعتراف	٩٣
+ شهادة أباء الرهبنة الأوائل لسر التوبة والأعتراف	٩٧
+ شهادة مؤسسي الطوائف	١٠٢
+ الفرق بيننا وبين الطوائف الأخرى	١٠٤
+ نقاط الخلاف بيننا وبين الكاثوليك بخصوص سر التوبة والأعتراف	١١٢

إصدارات سابقة من هذه السلسلة

دراسات عقائدية

١- الملاحظات العقائدية واللاهوتية على كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس
٢- شرح قانون الإيمان
٣- تجسد ربنا يسوع المسيح وتاريخ عيد الميلاد
٤- عيد الغطاس
٥- سر المعمودية
٦- سر الميرون
٧- سر الإفخارستيا
٨- سر التوبة والأعتراف

دراسات وتأملات روحية

١- الميلاد قصة مصالحة وفرح
٢- الصليب في حياتنا
٣- الذات أساس سقوط الأنسان
٤-الصوم (مفهومه ودراجاته)
٥- المحبة أساس البنيان
٦-الأتضاع ونمو الأنسان
٧- أحاد الصوم الكبير
٨- القيامة وظهورات السيد المسيح
٩- خطية الكذب خطورتها وكيفية معالجتها
١٠- المجئ الثاني علاماته و الإستعداد له

دراسات تاريخية

١- القديس العظيم الأنبا ابرآم أسقف الفيوم والجيزة
٢- إيبارشية الفيوم بين الماضي والحاضر
٣- شخصية أوريجانوس

دراسات كتابية

١- الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت
٢- تأملات تفسيرية في سفر يونان النبي
٣- المرأة في تعاليم الكتاب المقدس وآباء الكنيسة
٤- تفسيرات و تأملات في امثال السيد المسيح
٥- تأملات في مثل الإبن الضال
٦- تأملات في تفسير رسالة يهوذا
٧- تأملات تفسيرية في انجيل يوحنا
٨- السلام في ضوء تعاليم السيد المسيح وأباء الكنيسة

شخصيات من الكتاب المقدس

١- القديس مارمرقس الرسول
٢- رعاة الميلاد القديسين
٣- سمعان الشيخ
٤- القديس أخنوخ
٥- المرأة السامرية
٦- القديس متى الإنجيلي والشهيد

القديس العظيم الأنبا أبرآم